تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

منزلة الإرادة

د. فريد الأنصاري ص : 4

صلاة الجمعة والتوقيت الصيفي

د. عبد الرحيم بلحاج ص : 3

البريد الإلكتروني : almahajja@maktoob.com
almahajjafes@gmail.com

المحجة

■ المدير المسؤول : المفضل فلواتي
جامعة نصف شهرية
العدد : 339
16 جمادى الثانية 1431هـ - 01 ماي 2010م
الثمن : 3 دراهم

افتتاحية

قولة: «لا دين في السياسة» لا تعفي من المسؤولية ولا تنجي من المحاسبة

التوريث الدعوي

جمهرة كبيرة من الدعاة والصالحين والعلماء يغادرون هذه الحياة بدون أن تستفيد منهم الأجيال وراثة مفيدة قائمة على أصول علمية واضحة، ولذلك يفقد العالم الإسلامي بهذا كنزا ثمينا لا يعوض غالبا إلا أن يشاء الله تعالى، فلو كانت هناك مؤسسات مهمتها استقاء ما عند أولئك الدعاة والعلماء والصالحين وتتبع أوضاعهم وتسقُّط أخبارهم، وتسجيل المهم من خبرتهم وأحوالهم لكان ذلك أمرا حسنا يدل على عناية الأمة بالخيرة من أبنائها والعظماء منهم

د. محمد موسى الشريف ص : 8

وقفة مع الواقع

مستقبل العرب بين الغرب والصين

ذ. طلال أبو غزالة ص : 12

تهنئة في يوم النكبة

ذ. أحمد الأشهب ص : 15

التنين الأصفر والصعود نحو القمة

د. الطيب الوزاني ص : 13

الأيام الدولية واللغة الخشبية

ذ. عبد القادر لوكيلي ص : 15

تجارب دعوية

مترجمات وخادمات في سبيل الله

ذة. فوزية حجبي ص : 7

قولة : «لادِين في السِّياسة»
لا تُعفِي من المسؤولية ولا تُنْجي من المُحاسَبة

هذه المقولةُ نبْتَةٌ غريبةٌ أُسْتُنْبِتَتْ في غيْرِ تُرْبتها :

المسلمون منذ عرفُوا الدِّين من أول مرّة عرَفوه على أنَّهُ عقيدةٌ وشريعةٌ، أيْ إيمانٌ باطنيٌّ جَازم بأن الله عز وجل لمْ يَخْلُق الإنسانَ عبَثًا، ولمْ يخْلُق السماوات والأرضين لهْواً ولعباً، ولكنّهُ سبحانه خَلَق الأكوانَ مُسخّرةً للإنسان، وخلَقَ الإنسان لعبادَة الله تعالى، ولكنَّهُ لا يسْتطيعُ من تلْقاء نفْسه أن يَعْرف كيف يعْبدُ الله تعالى، فكَانَت الشريعةُ منهاجاً وإرشاداً له إلى الكَيْفيّة الصّحيحة التي يرْضاها الله تعالى لعبَادَته في كُلِّ شأْنٍ من شؤون الحياة، صغيراً كان أم كبيراً، سرّاً كان أم عَلَناً، سياسةً وحُكماً وقضَاءً أوَ تأسيساً للأسر وتربية للأولاد وبراً بالوالدين، سفَراً أو حَضراً، سلماً أو حرْباً، نوماً أو يقظة، شعارُ المُسْلم في كل ذلك :

● ﴿**قُلْ إنّ صَلاتي ونُسُكي ومَحْيَايْ ومَمَاتيَ للّه ربِّ العَالَمِين لاَ شَريك لَهُ وبذَلك أُمِرْتُ وَأنَا أوّلُ المُسْلِمِين**﴾(الأنعام : 165).

● ﴿**إنّما كَانَ قوْلَ المومنين إذَا دُعُوا إلى اللّه ورَسُوله ليَحْكُمَ بَيْنَهُم أن يَقُولُوا سَمعْنا وأطَعْنا وأولَئك هُم المُفْلحُون ومَنْ يُطع الله ورسُولَه ويَخْشَ اللّهَ ويَتّقه فأولَئك هُمُ الفَائزُون**﴾(النور : 50).

● ﴿**ومَا كَان لمُومنٍ ولا مُومنَة إذَا قَضَى اللّهُ ورسُولُه أمْراً أن تكُونَ لَهُم الخيَرَةُ من أمْرهم**﴾(الأحزاب : 36).

هذا هو دينُنَا الذي ينْطق به كتابُنا، وبُعث به رسُولُنا ليكُون الإنْسانُ عَبداً لله تعَالى بالاخْتيار كما هُو عَبْدٌ للّه بالاضْطرار، ولا سَبيل لذلك إلاّ :

1) أن يكون باطنُه مُخْلصاً لله تعالى، يعْمَلُ كُلّ شيء، ويفكّر في كُلّ شيء تقرباً لله تعالى وحْدَه بدون مراعاة لرضَى الناس عنه أو سخَطهم عليه، وبدُون خوْف من سلطة فلان أو علاّن، سواءٌ كان فلانٌ شخصاً أو حاكماً أو نظاماً دوليّاً أو غير ذلك.

2) أن تكون أعمالُه وفْق ما شرعَه الله تعالى في كتابه وسنة نبيِّه.

3) أن يعْلَم الإنسانُ تمامَ العلْم ويقينَه أن اللّه عزوجل لا تخْفَى عليه خافيةٌ منْ سرِّه وعلانيته ﴿**ولَقَدْ خلقْنا الانْسانَ ونعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ به نفْسُه ونحْنُ أقْربُ إلَيْه من حَبْلِ الوريد إذْ يتلقَّى المُتَلَقّيان عن اليَمين وعن الشّمال قَعيدٌ ما يَلْفظُ من قوْلٍ إلا لَدَيْه رقيبٌ عتيدٌ**﴾(ق : 18).

4) أن يعْلَم تمامَ العلْم أنّهُ مُؤاخَذٌ ومحاسَبٌ على كُلِّ أعْماله ونواياهُ، إنْ خَيْراً فخيْرٌ، وإن شراً فشرٌ ﴿**فمَنْ يعْمَلْ مثْقال ذرّة خيْراً يرَهُ ومَنْ يعْمَلْ مثْقال ذَرّة شراً يرَه**﴾(الزلزلة : 9) ﴿**ونَضعُ المَوازينَ القسْطَ ليوْم القيَامَة فلا تُظْلَمُ نفْسٌ شَيْئاً وَإن كان مثْقالَ حَبّة من خَرْدَلٍ أتَيْنا بها وكَفَى بنا حَاسبين**﴾(الأنبياء : 47).

أمّا الذين قالوا عَلَناً أو مارسُوا ذلك عملاً : «**لا دينَ في السِّياسة ولا سياسةَ في الدِّين**» فإنَّهُم قالوا ذلك :

1) ليرُدُّوا على كُلِّ عُلماء الأمّة ودُعاتها وجمهورها الذين حاصَروا الحكّام بالمُطالبة بتَطْبيق الشّريعة الإسْلامية ليكمُلَ تَدَيُّنُهُم وخضوعُهم للهَ تعالى إيماناً وحُكْما وشريعةً وأخلاقاً، فأرادُوا أن يخْرجُو من هذا الحصار بجَعْل السّياسة خاضعةً للأهْواء ولا دخْلَ للدين بها ناسين أو متناسين قوْل الله تعالى : ﴿**وأنْ احْكُمْ بيْنهُم بما أنْزَل اللّه ولا تتّبعْ أهْواءَهُم**﴾(المائدة : 51)، وقول الله تعالى ﴿**ومَنْ أحْسَنُ من اللّه حُكْماً لقَوْمٍ يُوقنُون**﴾(المائدة : 53).

2) ليُمَنّوا أنْفُسهُم بالأماني الكاذبة التي تُخيِّلُ لهُمْ أنّهُم مُطْلَقُوا اليَد في شعُوبهم، غيْر مُحاسَبينَ ولا مؤاخذين ﴿**ليْس بأمانيِّكم ولا أماني أهْل الكتاب مَنْ يعْمَل سُوءاً يجْزَ به ولا يجدْ لَه من دُون اللّه وليّاً ولا نَصيراً**﴾(النساء : 122).

3) لتأثُّرهمْ بالتّيّارات الوافدَة على ديار الإسلام من وراء البحار، ولبُعْدهم عن الثّقافة القرآنية، فكثْرةُ مُعاشَرة أهْل الدّنيا من الذين يُنكرُون وجُودَ الآخرة، ويُنْكرُون وجُودَ الحساب، والذين يَقُولُون -لعُلُوّهم وطُغْيانهم وتكبُّرهم وانْغماسهم في الأحْلام الورْديّة- : اللّهُ عزّ وجلّ لَنَا وحْدَنا ﴿**نحْنُ أبناءُ اللّه وأحبّاؤُه**﴾(المائدة : 20) والدّنيا لَنا نتَصَرّف فيها كَما نَشاءُ بدون حساب ﴿**وقَالُوا ليْسَ عَليْنا في الامِّيين سَبيل**﴾(آل عمران : 74) والجنّةُ في الآخرة لهُم ﴿**وقَالُوا لنْ يَدْخُلَ الجنّةَ إلاّ منْ كَان هُوداً أو نَصَارَى**﴾(البقرة : 110).

فكثْرة التّلَقّي من هؤلاء، وكثْرةُ الاعْتماد عليهم في الفكْر والتّوجيه، وتصْنيع البطَانة منْهُم... كُلُّ ذلك يُورث الثّقة بهم، ويُنْسي الثقةَ بالله تعالى ورسُوله والمومنين، ويُغَيِّبُ الإنْسان الغافلَ تماماً عن الموْت وسكْرته، والقَبْر وغُمّته، والحشْر وفضْحَته ﴿**وكَذَلك نُوَلّي بعْضَ الظّالمين بعْضاً بمَا كَانُوا يكْسبُون**﴾(الأنعام : 130) ﴿**كلاّ بل رَانَ على قُلُوبهم ما كَانُوا يكْسبُون**﴾(المطففين : 14).

حصَادُ هذه الأوْهام وهذه الأماني :

الحصادُ مُرٌّ على كُلِّ الأصْعدَة، قال ﷺ : «**ألا كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُم مسْؤولٌ عن رعيّته : فالإمامُ الذي على النّاس راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيّته، والرجُل راعٍ على أهل بيْته وهو مسؤول عن رعيته، والمرْأةُ راعيةٌ على أهل بيْت زوجها وولَده وهي مسؤولة عنْهم... ألا فكُلُّكُم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيّته**»(متفق عليه).

بما أن الرسول ﷺ جعَل الإمام الذي على الناس هو المسؤول الأول عن الشّعوب المسلمة فإن عُلماء الإسلام جعَلُوا من صفَاته الأولى : العلْمُ بالدِّين والشريعة، والسّلامَةُ من العُيُوب الخلْقية والخُلُقيّة، والصلابةُ في إقامة العَدْل والحقّ بين الناس بدون أن تأخُذه في الله لوْمة لائم، وقد وصَف الله عز وجل طالوتَ الذي اصطفاه للحكم فقال فيه ﴿**إنّ اللّه اصْطَفَاه عليْكُم وزَادَهُ بسْطَةً في العلْم والجسْم**﴾(البقرة : 247).

أما المُهمّة الأولى فهي : حمايةُ بيْضة الإسلام، وإقامة العدْل بيْن الرّعيّة، وإحسانُ تدْبير كُلِّ شؤون المسلمين، من أصْغرها إلى أكْبرها، والسّعْيُ لتبْصيرها بواجباتها وحُقوقها المشروعة في غير عَنت ولا إرهاق.

● فهَلْ شعوبُنا المسلمة في المُسْتوى المطلوب من حيثُ العلمُ بالدِّين والالتزام بأخلاقه؟!

● وهل شعوبنا في المستوى المطلوب من حيث التعبئةُ التامةُ للدفاع عن الدِّين والتضحية بكل شيء في سبيله؟!

● وهل شعوبنا في المستوى المطلوب من حيث الكفاءةُ العلمية والمهْنية والصناعية والتجارية؟!

● وهل شعوبنا في المستوى المطلوب من حيثُ الشُّورى والنصْحُ للمسؤولين بكل حرية وصدقٌ وإخلاص؟!

● وهل شعوبنا في المستوى المطلوب من حيث التكافُلُ والتضامُن والتلاحُم في البأساء والضراء؟!

● وهل شعوبنا في المستوى المطلوب من حيثُ الالتحامُ بين القمة والقاعدة؟!

● وهل أئمتُنا وقادةُ شعوبنا في المستوى المطلوب من حيث التعبيرُ عن طموحات الشعوب وآمالها سواءٌ في خطاباتهم أو مُؤْتمراتهم أو سياساتهم وتخطيطاتهم واهتماماتهم؟!

إذا كانتْ شعوبُ الدُّنْيا كلها تَسيرُ إلى الأمام فإن شُعُوبَ الدُّنْيا والدِّين، وشعوب الدّنيا والأخرى تسيرُ إلى الخلْف لأن كبارَها جَهّلُوهاَ بالدِّين والدّنيا، وجعلوها تعيش تائهة بدون هَدَف واضح تسْعى لتحقيقه، وبدون حماس يدفَعُها للاستماتَة في بناءِ حضارة إنسانية واعية ورَشيدة!!

فهَل هناك مرارةٌ أشدُّ من مرارَة العَيْش في ظلاَم الأهداف؟! وظلام الجَهْل والكَبْت للإرَادَات؟! وظلام الاسترقاق لأرْبَاب الدّينار والدِّرهم؟!

حسابُ الدنيوِيِّين ليْس كَحساب المُنْتَمين للإسْلام!!!

إن المؤمنين بالحياة الدُّنيوية وعُبّادَها هي فقط يُسْألون سؤالاً واحداً هو : ﴿**ألمْ يَاتكُم نَذيرٌ**﴾؟! ليبلّغكم بأن ربَّ الدّنيا والدين هو وحْده المستحقُّ للعبادة؟! فيكون جوابُهم : ﴿**بَلَى قَدْ جَاءَنا نَذيرٌ فكَذّبْنا وقُلْنا : ما نزّلَ اللّه منْ شَيْءٍ إنْ انْتُم إلاّ في ضَلاَلٍ كَبير**﴾ ثم يُقرُّون -مخْزيِّين مُبكّتين من قُلْب أتُون العَذاب- بأنهم كانُوا غَيْر عاقلين عندما جاءَهُم النّذيرُ، ولكنّهُم كانُوا سكارَى بحُبِّ الدنيا وزينتها، ولذلك استحقوا ماهم فيه من العذاب والهوان ﴿**وقالُوا : لوْ كُنّا نسْمَعُ أو نعْقل مَا كُنّا في أصْحاب السّعير فاعْترفُوا بذنْبهم فسُحْقاً لأصْحَاب السّعير**﴾(الملك : 11).

فهؤلاء الدنيويّون يُسْألُون عن أصْل الإيمان ثم بعد ذلك يُجازَوْن على كُفرهم بالآخرة، أما المُنْتَمُون للإسلام الذين يقُولُون : «لا إلَه إلاّ اللّه مُحَمّدٌ رسُولُ اللّه» أي يُقرُّون بأنه لا معْبُود بحقٍّ إلاّ اللّه تعالى، ولا متْبُوع بحق إلا رسول الله تعالى، فإنّهُم سيَطُول وقُوفُهم وتتنَاسَلُ أسْئلَتُهم كُلٌّ بحسَب وضْعه ومسْؤوليته التي تحمَّلَها في الدّنيا، عَن نفسه وأُسْرته وأولاده وجيرانه، ووظيفته، وشبابه، وماله، ومقْدار محبّته لدين الله تعالى، ومحبّة رسُوله، وكيف كان اهتمامُه بالدين والدّعوة إليه؟! وعلى قدْر الجواب المشْهُود علَيْه من الجُلُود والجوارح يكُون الجزاءُ مع عفْو اللهَ تعالى ورحْمته الشاملَتَيْن لكُل ذَوي النّوايَا الحسَنة من أصْحَاب الصِّدْق والإخْلاص!!!

هذا بالنسبة لكل مُسْلم، أمّا منْ تولَّى شَيْئاً من أمُور المسلمين فهو مسؤول - زيادةً على ما سَبَق- عن شُؤون من تولَّى أُمُورَهُم، مسْؤولٌ عن الصغيرة والكبيرة من أمورهم، عن تعْليمهم دينَهم أولاً ليسْتقيمُوا، وتكون حيَاتُهم كلُّها مشْمُولةً بالرّحمة والبركة ومسؤولٌ عن أمْنهم الرُّوحي، والغذائي، والسياسيّ، والقضائي، ومسؤولٌ عن تعبئتهم ليكونوا دائماً جُنُودَ الله المُخْلصين المُنافحين عن الدّين بالغالي والنفيس، ومسؤولٌ عن الإعلام الذي ينبغي أن يكون إعْلاماً مُجنّداً لخدْمة الرسالة الإسلامية، ومسؤول عن حماية الأوطان والدفاع عنها ضد الغزْو المادّي، والغزْو النّفسي والفكري والإعلامي، ومسؤول عن السّعْي الجادّ لتوحيد كلمة المسلمين في كل بقاع الدنيا، فإذا قامَ بكل ذلك كان من السّبْعة الذين يُظلُّهم الله في ظلّه يوم لا ظلَّ إلاّ ظلُّه، قال ﷺ : «**سَبْعةٌ يُظلُّهم اللهَ في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه : الإمَام العادل...**»(متفق عليه).

لأن هذا الإمامَ العَادل يعْتَبرُ السِّياسةَ جُزْءاً أساسيّاً من الدِّين، بل يعْتبرها هي الترجمةَ الصّحيحة لجَوْهر الدين، لأن الدين ما جاءَ إلا لإقامة العدْل بين الناس ﴿**لَقَدْ أرْسَلْنا رُسُلَنا بالبَيِّنات وأنْزَلْنا معَهُم الكتابَ والميزانَ ليَقُومَ النّاسُ بالقسْط**﴾(الحديد : 24) ولوْ لمْ تَكن السياسةُ من صُلْب الدّين ما كان للأئمة العادلين الجزاء الذي تقدّم، والجزاء الذي قال فيه رسول الله ﷺ : «**إن المُقْسطين عند اللّه على منابر من نور، عن يَمين الرّحْمان عز وجل -وكلْتا يَدَيْه يَمين- الذينَ يعْدلُون في حُكمهم وأهْليهم ومَاوَلُوا**»(رواه مسلم).

ولما كان للظّلمة والفسَقَة والفَجَرة من المسؤولين هذا الجزاء، قال ﷺ : «**مَامنْ عَبْد اسْترْعاه الله رعيّةً فلمْ يُحطْهَا بالنّصيحَة إلاّ لمْ يجد رائحة الجنة**» وفي

تتمة : ص 3

جريدة المحجة
■ المدير المسؤول : المفضل فلواتي
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.com
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية

وزير إسرائيلي... تقسيم السودان إلى ثلاثة دول يضمن أمن إسرائيل!!

السودان إن ترك بموارده الاقتصادية وأرضه الواسعة وشعبه المترابط بالرغم من التنوع الإثني فيه فإنه سوف يكون دولة قوية داعمة للقضية الفلسطينية. وهذا يتطلب تقسيم السودان إلى ثلاثة دول دارفور الكبرى وشرق السودان وجنوب السودان.

وتقسيم السودان فرضته مصلحة إسرائيل وأمنها حتى لا يستغل موارده ليصبح دولة قوية رائدة فى البعدين العربي والإفريقى وهو مؤهل لهذه القيادة.. قوة عسكرية لا يستهان بها، قوة اقتصادية هائلة، أرض واسعة، فكر سياسى خلاق، وبدائل متجددة.

وحركات التمرد الحالية كلها تدعم مخطط إسرائيل الرامي إلى تفتيت السودان ووحدته.

حزب الله يملك صواريخ أكثر من غالبية حكومات العالم

واشنطن -ا ف ب: اتهم وزير الدفاع الامريكي روبرت غيتس وإلى جانبه نظيره الإسرائيلي إيهود باراك، كلا من سورية وإيران بتسليم حزب الله الشيعي اللبناني قذائف وصواريخ من الأكثر تطورا.

وأضاف "لقد وصلنا إلى حد أن حزب الله يملك من القذائف والصواريخ أكثر من غالبية حكومات العالم، وهذا بالتأكيد أمر يزعزع استقرار المنطقة، وإننا نراقب الوضع بعناية فائقة".

واتهم شيمون بيريز سورية بتزويد حزب الله صواريخ سكود يمكن أن تصل إلى كل الأراضي الإسرائيلية.

وحذرت واشنطن التي تعتبر حزب الله حركة إرهابية، من "الخطر الكبير" الذي قد يواجه لبنان من خلال عمليات نقل صواريخ وأسلحة متطورة.

ورفضت سورية الاتهامات الإسرائيلية.

وخلال حرب الدولة العبرية على لبنان في صيف العام 2006، أطلق حزب الله اللبناني أكثر من أربعة آلاف صاروخ على شمال إسرائيل. وأوقع النزاع الذي استمر 34 يوما، أكثر من 1200 قتيل في الجانب اللبناني، غالبيتهم من المدنيين، و160 قتيلا في الجانب الإسرائيلي.

رئيس تشاد : تقسيم السودان "كارثة" على إفريقيا

مفكرة الإسلام: حذر الرئيس التشادي إدريس ديبي اتنو من تداعيات التقسيم المحتمل للسودان قبل شهور من الاستفتاء المزمع إجراؤه في جنوبي السودان مطلع العام القادم لتحديد مصيره سواء بالانفصال أو البقاء في إطار سودان موحد، قائلاً إن حدوث التقسيم سيشكل "كارثة على إفريقيا".

وأعرب في مقابلة مع مجلة "إفريقيا الشابة" عن رفضه للاستفتاء لتحديد مصير الجنوب السوداني ذي الأغلبية المسيحية، محذرًا من أن ذلك سيفتح الباب أمام حدوث الأمر ذاته في دول أخرى.

ومضى قائلاً: "كلنا لدينا شمال وجنوب، جزء مسلم وجزء مسيحي. إذا قبلنا بتفكك السودان، كيف نواجه محاولات الانفصال الأخرى؟". وأضاف "أقولها بصوت عال، أنا ضد هذا الاستفتاء (على الانفصال) وضد احتمال التقسيم".

● **تجدد الصراع**

وحذر من أن هذا الانفصال إن وقع "سيشكل كارثة على إفريقيا"، متسائلاً: "هل تعتقدون حقًا أن حكومة الخرطوم ستوافق بسهولة على فقدان الجنوب بنفطه ومعادنه؟"، متخوفًا من اندلاع حرب جديدة بسبب هذا الأمر.

إسرائيل" تمنع إدخال مواد تركية لترميم "الأقصى"

مفكرة الإسلام: منعت شرطة الاحتلال "الإسرائيلي"، إدخال نحو 145 صندوق زجاج قيشاني خاص مُقدمة من الحكومة التركية لترميم قبة السلسلة المحاذية لقبة الصخرة المشرفة في المسجد الأقصى المبارك.

وقالت مصادر فلسطينية إن مشاورات جرت بين عدد من المسؤولين الأتراك وشرطة الاحتلال "الإسرائيلي" في المرآب التابع لدائرة الأوقاف الإسلامية بالقرب من باب الأسباط أحد بوابات المسجد الأقصى المبارك.

ويضم الوفد التركي عدداً من موظفي وزارة الخارجية والسفارة التركية الذين أعربوا عن غضبهم لهذه الخطوة من جانب سلطات الاحتلال.

● **آثارنا الإسلامية لن تكون أبدًا يهودية:**

وكان رئيس الوزراء التركي، رجب طيب أردوجان قد أكد، في وقت سابق، أن المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي ومسجد بلال بن رباح "لن تكون يومًا إلا آثارًا إسلامية ولن تكون أبدًا آثارًا يهودية".

وكان رئيس الحكومة "الإسرائيلية" بنيامين نتنياهو أعلن ضم الحرم الإبراهيمي في الخليل ومسجد بلال بن رباح إلى لائحة المواقع التاريخية اليهودية.

وقال أردوجان: "فلسطين هي قضيتنا ولم تسقط في أي يوم من الأيام من جدول أعمالنا".

افتتاحية (تتمة)

رواية : «**ما من والٍ يلي رعيّةَ المسلمين فيموتُ وهو غاشٌّ لهُمْ إلا حرّم الله عليه الجنة**»(رواه الشيخان).

وقال ﷺ : «**إذن شرّ الرّعاء الحُطَمةُ**»(رواه مسلم).

والحُطمة : الراعي الظَّلُومُ الغَشُومُ الذي يُحطِّمُ آمَالَ الناسِ وطموحاتهم العلمية، والدّعوية، والسياسية، والاجتهاديَّة، والإبداعية، والأخرويّة، والإصلاحية، فالحُطمة باسْتبْداده الخانق يخْنقُ أنفاسَ كُلّ حركة تَغْييريّة تسْتَهْدفُ تجْديدَ الحياة، وتجديدَ النشاط، و تجديد الطموحات المَختلفة، إذ يزْرَعُ اليأسَ والقنوطَ في كل جوانب الحياة على سَعَة رحْبَتها، مع أن اليأس في الإسلام حَرام ﴿**إنَّهُ لا ييْأسُ منْ رَوْحِ اللّه إلا القوْمُ الكافِرُون**﴾(يوسف : 87).

فالذين يتذرّعُون بمقولة «**لادين في السياسة**» ليوهمُوا أنفسهم أنهم مبرَّأُون من المساءلة والحساب هم واهمُون، بلْ إن الله عز وجل سيسألهم عن الطريقة التي وصَلوا بها للمسؤولية : هلْ هي شرعيّة أم غير شرعية؟! وسيسألهم عن أسْباب تخلُّف شعوبهم في أي ميدان من الميادين البانية للحَضارة الراقية؟! وسيسألهم عن الاجتماعات الدّوْرية سواء في إطار الأقاليم، أو إطار العُروبة، أو إطار الإسلام، أو إطار الإعلام، أو إطار الداخلية والقضاء، أو إطار العلم، أو إطار السياحة.. ماذا كانت نتيجة تلك الاجتماعات؟! هل كنتم مخلصين في عَقْدها أم مُجرّد متاجرين مُمَوِّهين غاشّين؟! وكم أنفقتم فيها من أموال الشّعُوب وثرواتها؟! هلْ كُنْتُم تُقَدِّرُون مقدار التحْطيم لآمال الشعوب حينما تخْرُجون منَ اجتمَاعاتكم صفْر اليَدَيْن من النتائج المثمرة؟! هلْ تعرفُونَ مقدار الخسارة التي سبّبْتُمُوها لشعوبكم من كثرة النزاعات والتقسيمات والتناحرات بِسَبب الاستبداد المتسلط على رقاب الشعوب؟!

أسئلة لا عدّ لها ولا حصْر استَحْضرها أبو بكر ﷺ فقال : «**والله لوْ منَعُوني عِقالاً كانوا يؤدُّونَه لرسول الله لقاتلتُهم عليه**» واستحضرها عمر ﷺ فقال : «**واللّه لو زلّقَتْ دابّةٌ في العراق لظَننتُ أن الله سيحاسبُني عليها**» ونبهنا إلى ذلك رسول الله ﷺ عندما قال : «**لا يُومِن من باتَ شبْعانَ وجارُه جَوْعان -وهو يعلمُ-**» فكيف يُومِن من باتَ متخماً وشعْبُه جوعان؟! وكيف يومن من بات آمناً وشعبُه خائف؟! وكيف يومن من حسابُه بالملايير وحساب شعبه بالمَلاليم؟! إن هؤلاء الواهمين يخدعُون أنفسهم وهُم يظُنُّون أنهم يخدعون الله تعالى الذي له بين كُلِّ أيمانهم وشمائلهم قَعيد ﴿**ولقَدْ خَلَقْنا الانسانَ ونعْلمُ وما تُوَسْوِسُ بِه نَفْسُه ونحْنُ أقرَبُ إلَيْه من حبْلِ الوريد إذْ يتَلَقّى المُتَلَقّيان عن اليمين وعن الشّمال قعيد ما يلْفِظُ من قوْلٍ إلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عتيد**﴾(ق : 18).

فماذا يقالُ لهؤلاء المتسيِّسين بدون دين؟! يقال لهم ما قال تعالى ﴿**فذَرْهُمْ يخُوضُوا ويلْعَبُوا حتّى يُلاقُوا يوْمَهُم الذي يُوعَدُون**﴾(المعارج : 42).

ذ. المفضل فلواتي

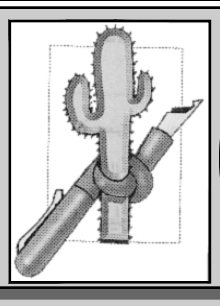

صلاة الجمعة والتوقيت الصيفي

الإعلان عن التوقيت الصيفي الجديد يثير بلبلة لدى العديد من المواطنين الذين تعودوا على ربط أوقات الصلوات بالتوقيت العادي، بل إن العديد من الشرائح الاجتماعية تربط نشاطها اليومي بالتوقيت العادي، ولذلك فإن العديد من هؤلاء وخاصة في المناطق القروية لا يغيرون وقت ساعاتهم، بل يحتفظون بالتوقيت العادي، لأن التوقيت الصيفي "يزعجهم كثيرا" على حد تعبير العديد منهم.

ولعل الجهات المنظمة والمرتبة لهذا التوقيت تدرك بشكل واضح هذا "الإزعاج" ولذلك تعلن كل مرة أن هذا التوقيت ينتهي مع بداية شهر رمضان المبارك. والتعليل الذي قُدم في السنة الماضية لتوقيت العمل بالتوقيت الصيفي مع بداية شهر رمضان، يمكن أن يقرأ كما يلي "عدم إزعاج الناس بهذا التوقيت لأن شهر رمضان شهر عبادة، عبادة الصوم وعبادة الصلاة، وكلاهما مرتبط بالتوقيت فينبغي أن يكون هذا التوقيت عاديا".

وللمرء أن يسأل : هل العبادة فقط في شهر رمضان؟ ماذا عن العبادة اليومية التي نص عليها القرآن الكريم مرات عديدة، وهي عبادة الصلاة؟ ماذا عن صلاة الجمعة التي نص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على وجوب أدائها، وعدم الانشغال عنها بأي شيء من أمور الدنيا في ذلك الوقت مهما كان شأنه، بل إن النبي ﷺ حذر من التخلف عن الجمعة بدون سبب شرعي، أما أقواله ﷺ في الحث على التبكير في الذهاب إليها، وما تقرأه عن سيرة السلف الصالح الذين كانوا يحرصون على الجلوس في الصف الأول وما يدعو إلى ذلك التبكير، فأمر مشهور ومتواتر، ومع ذلك قد يبدو في ضوء ضوضاء العصر وزحمة وقته أن كل تلك الأقوال المأثورة من قبيل الخيال الذي يصعب على الكثير التفكير فيه، بله تطبيقه.

ومن الأكيد أن الذي هو واقع عند الجميع، وتحرص الأمة على تطبيق الحد الأدنى منه هو عدم التفريط في الصلاة، حتى وإن حدث التهاون في التبكير إليها.

وإذا كان الأمر كذلك، فأين نحن الآن من أداء هذه الشعيرة في وقتها وخاصة في ضوء التوقيت الجديد، حيث سيكون وقت أداء الصلاة بعد الساعة الثانية، أي أن المؤسسات التعليمية بجميع مستوياتها، التي يبدأ فيها الدخول على الساعة الثانية، لن يصلي لا تلامذتها ولا أساتذتها ولا إداريوها صلاة الجمعة، وسيُحرمون من أدائها بقوة القانون!!!!

فهل هذا ما يُراد من مؤسساتنا التعليمية؟؟

هل هذه هي القيم الدينية التي يراد الحفاظ عليها والتي نصت عليها أكثر من مادة من المواد المنظمة والمؤسسة للتعليم؟. لماذا لا تستفيد المؤسسات التعليمية من"التسهيلات" التي تمنح لموظفي الإدارات العمومية، فيكون استئناف الدراسة بعد الزوال على الساعة الثالثة بدل الثانية؟ وهذا أضعف الإيمان!!.

لقد مضى زمن المطالبة بجعل يوم الجمعة عطلة أسبوعية رسمية وأصبح الحديث عن ذلك من قبيل الأحلام، خاصة في زمن نشبت العولمة أظفارها في كل شيء، وتم الارتباط بالغرب في كل كبيرة وصغيرة، حتى التوقيت الصيفي لا يمكن أن يفسر إلا بذلك.

إنه من العجيب حقا أن ترتبط برامجنا وأعمالنا ومواعدنا ومواقيت أعمالنا بتنظيم مادي لا أثر فيه للقيم الدينية على الإطلاق، حتى في أكبر شعيرة تميز المسلمين عن غيرهم، وهي صلاة الجمعة. وكأننا أمة لا ينص دستورها على أن الإسلام هو الدين الرسمي للبلاد.

وفي المقابل نرى الدين عند غيرنا حاضرا في كل شيء حتى في الأعياد الوطنية. فمنذ أيام احتفل الكيان الصهيوني بقيام دولته المغتصبة لأرض فلسطين، وكان حفل الذكرى حسب التوقيت العبري، لا حسب التوقيت الميلادي. وفي ذلك دلالة وأي دلالة، فهل نأخذ العبرة من أعدائنا ونجعل لديننا مكانا في حياتنا؟؟!!

د. عبد الرحيم بلحاج

منزلة الإرادة (*)

د. فريد الأنصاري
رحمه الله تعالى

كأنك غريب أو عابر سبيل

أول المنازل كما ذكرنا هو منزل التوبة، واليوم نتحدث عن مقام ثان أو منزل ثان هو منزل الإرادة أو مقام الإرادة، وقبل أن نُدلف إلى معنى الإرادة، لابد أن نُذكِّر بمعنى أساس في حياة المؤمن السائر إلى الله عز وجل في تدينه، وذلك أن العبد السالك إلى الله سبحانه وتعالى سائر في تدينه، ولذلك سماه أهل التربية سابقاً : بالسالك، أو العبد السالك، ولذلك استعمل ابن القيم هذه العبارة فقال "مدارج السالكين" من سَلَكَ يَسْلُكُ أي : سلك الطريق، سافر واستعملها راحلاً إلى ربه، وكون العبد المؤمن سائراً إلى الله في تدينه وحياته معنى أصيل من معاني العبادة في الإسلام، وذلك بمنطوق القرآن الكريم، ومنطوق السنة النبوية، فأما القرآن فمنه على سبيل المثال لا الحصر، قول الله عز وجل ﴿يا أيها الانسان إنك كادح الى ربك كدحا فملاقيه﴾(الانشقاق : 6)، وهذه العبارة التي استُعملَ فيها اسم الفاعل، ﴿كادحٌ الى ربك كدحاً﴾ إلى غاية هي ﴿فملاقيه﴾ تدل دلالة واضحة على أن الإنسان في حياته في حالة سير، ليس واقفا، بل سائر، كادح، والكدح هو السير الشاق، سائر ويحمل في سيره التكاليف، إما له، سينال بها الحسنات والأجر، وإما عليه، لا يُطَبِّقُ هذه التكاليف، فهو يحمل وزرَها إلى يوم القيامة، يحملها وهو سائر -أحبَّ أم كره- ﴿يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا﴾ والنبي ﷺ كَثُرَ عنه تنبيه الصحابة والمسلمين بعدهم إلى يوم القيامة إلى أن المؤمن في هذه الدنيا سائر، راحل، عابر سبيل، كما في وصيته لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»(رواه البخاري)، وأيضاً في حديثه: «ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»(رواه الترمذي وغيره).

فهذه النصوص من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ تدل على أن الإنسان غير مخلَّد في الدنيا، وأنه سائر وليس بواقف ولا ثابت فيها، ما دام كل شيء في بدنه يتحرك، إذ ليس في أبداننا وفي أنفسنا شيء جامد، كل شيء فينا يتغير، يتحرك بتحرك الحياة، دورة الدم في عروقنا تتحرك، نبضات القلب تُعَدُّ وتُحسَب علينا، واحد، اثنين، ثلاثة...

كل شيء فينا يتحرك، يجري إلى غايته، كما تجري النجوم والكواكب في أفلاكها إلى قدرها الذي قُدِّر لها، وغايتها التي رُسمت لها من لدن العليم الخبير سبحانه وتعالى، مادام الأمر هكذا فإن المسلم إذن سائر إلى الله عز وجل، إذا كان عابدا فهو سالك إليه عبر منازل العبادة، يعني أن الإنسان المسلم حينما يكون ملتزماً بدينه حقا فهو إذن يمضي في حياته سيرا إلى الله، لكن ليس عن طريق العصيان، بل عن طريق العبادة، وواضح أن ديننا يحدثنا كثيرا على أن الحياة العملية في أعمال الإيمان والإسلام حياة سائرة إلى الله عز وجل، وأشهر دلالة في ذلك وعلى ذلك : الصلاة.

سيراً وتقرباً إلى الله عز وجل

صلاة الإنسان عملية سفرية من عالَم الشهادة إلى عالَم الغيب، بل بتكبيرة الإحرام حيث يودع الإنسان -وهذا المفروض، إذ يرفع يديه حذو منكبيه- يودع كل هموم الدنيا وكل مشاغلها ويستقبل عالم الغيب سيراً إلى الله عز وجل عبر معراج الروح يترقى رتبة، رتبة، حتى يكون أقرب ما يكون إلى ربه وهو ساجد، وفي الحديث الصحيح «وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»(أخرجه مسلم)، "أَقْرَبُ" هذه العبارة تدل على الأقربية، اسم تفضيل، يعني أنه كان في مرحلة قبلها قريباً والآن هو أقرب، قَبْلَ أَقْرَبَ قريب، وقبل قريب بعيد، إذن قبل أن يكبر تكبيرة الإحرام كان بعيدا وحينما كبَّر بدأ يقترب، فإذا ركع صار أكثر اقتراباً، ثم يقترب ويقترب حتى يكون أقرب ما يكون وهو ساجد، إذن الصلاة هي سير وعملية سفرية يسافر فيها الإنسان، إلا أنه سفر من الأدنى إلى الأعلى، "معراج" إلى ربك عز وجل بروحك، «وإن أحدكم إذا صلى يناجي ربه»(رواه البخاري)، ولا يناجي إلا القريب -هذه العبارة النبوية العجيبة-، لأن المناجاة لا تصح لغة ولا واقعا إلا بشرطين، متى نقول فلان يناجي فلانا؟ "النجوى" لا تكون إلا بين قريبين، إذا كان أحد جالساً هنا، والآخر هناك في طرف الجامع يرمي له الكلام فهذه ليست نجوى، النجوى حتى تكون مُحتكّاً به، جنبك لجنبه، حينها تسمى "نجوى" يتناجيان، فإذن هذا الاحتكاك، القرب، التقارب -ولله المثل الأعلى-، فهو اقتراب بالمعنى، اقتراب الروح من مالك الروح، قُربٌ شديد حتى كان أفضل مراحل الاقتراب، «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»، فإذن المؤمن إذا صلى يناجي ربَّه، بمعنى أنه يكون قريبا جدا من ربه، هذا الشرط الأول للمناجاة.

الشرط الثاني، أنه لا يتناجى إلا حبيبان، لا يمكن أن يكون اثنين متخاصمين، ولو كانا متلاصقين ويتكلمان بصوت خافت، فلا، نسمي ذلك نجوى، وإنما يتخاصمان، ولو بصوت خافت، فمن شروط المناجاة أن تكون العلاقة الرابطة بين الاثنين المتناجيين القريبين علاقة محبة، وإلا لا يجوز في العربية أن نسمي مثل هذا الكلام مناجاة، يجب أن تكون أنت وصاحبك حبيبان قريبان من بعضكما، وتتكلمان باقتراب، أنت قريب منه وهو قريب منك، وحديث المحبة بينكما، فيسمى ذلك مناجاة، «وإن أحدكم إذا صلى يناجي ربه»، فإذن العبادات كلها كالصلاة، والصيام، والصدقة، والزكاة، والحج، وسائر أعمال البرّ تُقرِّب العبد من ربه، تجعله أقرب، فأقرب، كلما زاد كلما اقترب، إلى أن يكون أقرَب ما يكون من ربه.

إذن طبيعة الدين الإسلامي هي هذه، سَيرٌ إلى الله وتَقرُّبٌ، وفي الحديث القدسي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أُحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذني لأعيذنّه»(رواه البخاري)، عبارة التقرب التي تتكرر تؤدي إلى المحبة، وما يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فالتقرب إذن يوصل إلى المحبة، وبالمحبة تكون المناجاة، «وإن أحدَكم إذا صلى يناجي ربه».

إنما الأعمال بالنيات

غاية العبادة في الإسلام أن ترحل إلى ربك عبر طريق يوصلك إلى المحبة، هذه غاية العبادة، حقيقة العبادة في صلاتك وصومك وصدقتك وسائر أعمال البر من أعمال الدنيا؛ لأن المؤمن يمكنه أن يحوّل كل أعماله الدنيوية إلى عبادات إذا استبطن نية السير إلى الله عز وجل «إنما الأعمال بالنيات»، يمكن للمؤمن أن يعبد الله بتجارته، يمكنه أن يعبده بكل أفعاله الصالحات وبتركه للمنهيات، مُشْتَهَرٌ عند الناس أن العبادة تكون بالأفعال فقط، لا، بل تكون بالأفعال وتكون بالتُّرُوك أيضا، حينما تفعل لله فأنت عابد لله، متقرب إلى الله، سائر إلى الله، وأيضا حينما تترك لله فأنت عابد لله، سائر إلى الله، متقرب لله، ومثال ذلك علماء أصول الفقه خاصة وقد تحدثوا عن هذا المعنى فقعدوا قاعدتهم المشهورة "التّرُوك أفعال إن بنيت على المقاصد" يعني أن الإنسان لما يترك، لا يفعل، إذا بني الامتناع عن الفعل على نية العبادة يكون كفعل العبادة، مثلا شخص تُقدم إليه قنينة خمر -أعز الله مجلسكم- فيرفضها، يقول لا، اسمح لي، لما يرفضها فهو بين أمرين؛ إما أن يرفضها استشفاء أو طبيعة، فلا أجر له، وإما أن يرفضها تحريما فهو كفاعل الخير، وأجره ثابت بإذن الله تعالى، يعني أنه لدينا احتمالين للذي يترك الحرام، من يُعرض عليه الحرام ويقول : أعوذ بالله ويترك الحرام، كانت خمراً، أو زنى، أو غشاً، أو رشوة، أو أي نوع من أنواع الحرام، لما يعرض عليك وتتركه، إذا أنت لم تفعله، فقط لأن الطبيب قال لك لا تشرب الخمر، فلا أجر لك، ولكن لا وزر عليك، لأن النية التي تركت من أجلها الخمر ليست عبادة الله، وإنما تركتها من أجل منفعة بدنك، لو لم تكن تضرك لشربتها، ولكن لأن الطبيب قال لك: لا، فالتارك المأجور إنما هو التارك لله، الذي تُعرض عليه الخمر فيقول : لا، حرام؛ ليس لأن الطبيب قال لي لا، ولكن؛ لأن الله عز وجل قال لي لا، فمن ترك لله فهو كمن فعل لله، يعني من ترك الحرام لله، كمن فعل صياماً، أو حجاً، أو عمرة، أو زكاة لله.

هذا شرح القاعدة التي ذكرت، «التُّرُوك إن بنيت على المقاصد أفعال»، أو «التُّرُوكُ كالأفعال إن بنيت على المقاصد»، فممكن إذن أن يترك الإنسان الحرام استشفاء، أو طبيعة، وأعلم أن كثيراً من الناس يتركون الحرام طبيعة، يعني ليس لأنه يعبد الله، ولكن لا يشرب الخمر لأنه لم يتذوقها، إما بسبب مرورتها، أو حموضتها، أو زعاقتها، لا أقل ولا أكثر، ولو كانت تُلَذُّ عليه لشربها، فإذن هو يتركها لسوء مذاقها، وليس لأنها حرام، فهذا لا أجر له أيضاً، هذا ترك هو والصفر سواء، أما الترك الذي يَتْرُكُ فيه العبد الفعلَ لله الواحد القهار فهو عبادة، مأجور على فعله.

هذا الاستطراد هو لبيان أن المؤمن سائر إلى الله بكل فعله، جميع أفعالك يمكن أن توظفها في سيرك إلي الله وتُقرِّبُك يوماً بعد يوم إلى مقام الرِّضَى ومقام الأنس بالله عز وجل، هذا تقديم لمعنى نريده، وذلك هو بيان معنى الإرادة؛ لأنا تحدثنا عن التوبة وقلنا بأنها هي المرحلة الأولى للعبد السالك إلى الله؛ لأن العبد الذي يسلك طريق الطاعة؛ فهو يسلك الطريق لله، أحبَّ أم كره ﴿يا أيها الانسان﴾ ليس أيها المؤمن أو المسلم، الإنسان -كافر أم مسلم- ﴿يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه﴾، فإما هذه وإما الأخرى، فأنت تختار بين طريق الطاعة، أن تَسْلُكَ إلى الله عبر مدارج السالكين بين ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ كما عبر ابن القيم رحمه الله تعالى، وإما أن تسلك -والعياذ بالله- بين مدارك الشياطين -نجانا الله وإياكم منها-؛ لأن المدارج هي التي ترقي، أنت سائر وأنت تترقى، والمدارك هي التي تنزلك، أنت سائر وأنت تنزل" حتى الدرك الأسفل -نسأل الله العافية-.

مقام الإرادة يلي منزلة التوبة

من هنا إذن يتبين أن المؤمن حينما يختار أن يسلُكَ إلى الله عبر مدارج الإيمان، عبر معراج الصلاح إلى الله، ينطلق من التوبة، وقد بينا ما يسّر الله، ولكن توبة العبد لا تثبت إلا بشروط -مجموعها مُلخَّصٌ- في منزلة يجب أن يحققها مباشرة بعد توبته الكلية أو الجزئية إلى الله عز وجل، هي درجة "الإرادة" أو منزلة "الإرادة" أو مقام "الإرادة"، سواء كانت توبتك كُليّة أو جزئية؛ لأن التوبة نوعان، توبة كلية وتوبة جزئية، من ذنب من الذنوب.

يمكن أن يكون الإنسان صالحاً يصلي، وقد خلط عملا صالحا وآخر سيئا، فيتوب من السيئ، هذه توبة جزئية، وقد تكون التوبة كلية يعني -والعياذ بالله- أن ابن آدم الذي لا دين، ولا صلاح، ولا صلاة له... كل أمره شرّ، حينما يعلن التوبة إلى الله وباب التوبة مفتوح إلى أن يمنعها الله عز وجل، ممَّ هو معروف في الحديث، يحتاج إلى مثبتات على التوبة؛ لأن الشيطان لعنه الله لا يترك التائب على توبته، فإذا تاب من خمر لابد أن يذكره بها مرة مرة، ويأتي له بشياطين أصحابه يطرقون عليه باب الدار، "مالك يا فلان قد هجرتنا؟" ويقدمون إليه الخمر هدية، حتى يردوه إلى الفساد، حتى إذا رجع أصبح هو من يؤدي ثمن الخمر.

وهذا كثير في المجتمع نعرفه جميعاً في الخمر، وفي الزنا، وفي السرقة، وفي الفساد، وفي سائر أنواع المصائب والموبقات، نجانا الله وإياكم وعصمنا منها.

فإذن حتى يثبت الإنسان في طريق الصلاح ينبغي أن يدخل بسرعة مقام الإرادة لتكون توبته توبة نصوحا، لا يعود بعدها أبداً بإذن الله عز وجل إلى طريق الضلال جزئيا أو كليا إلا أن يشاء الله، هذه الإرادة هي التي اشتق منها الصالحون قبل مصطلحا ما يزال مستعملا إلى اليوم، وهو مصطلح المريد، والمريد الذي نتحدث عنه هو المريد الحق وليس الذي ضل بطرق الضلالات، إنما المريد الذي اتبع الطريقة الحق، طريقة الله عز وجل، وذلك قوله سبحانه : ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾(الكهف : 28).

سلسلة منازل الإيمان

أدومها وإن قل

الإرادة المطلوبة إنما هي المبنية أساساً على الاستمرار، لأن المشكل الكبير عندنا في الدين أو في التدين أو في ممارستنا الدينية، هو الدّوام؛ لأن ديننا ليس فيه مشقة، إطلاقا كلما ثقل عليك أمر أو شق عليك أو حرُجَ كانت لك فيه رخصة، لا يوجد في الدين إطلاقا نازلة من النوازل ثقل على صاحبها ولم يعطه الله فيها رخصة، كل الشدائد، كل الضرر، كل الحرج مرفوع وهذا من كليات الشريعة الإسلامية، ومن أصولنا التعبدية، ولكن الصعب عندنا في الدين هو الدوام على الأمر السهل، ولذلك قال الله عز وجل ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ الغداة الصباح، والعشي العشية، وهما رمزان للدلالة على تحول الوقت؛ تحولين كبيرين في أربعة وعشرين ساعة، تحول بروز النهار، وتحول غروب النهار وبروز الليل، بالغداة والعشي، فهما رمزان إذن على سيرورة الزمان وسيرورة الوقت، رمزان دالان على الدوام والاستمرار، فإذن المشكل هو أن تَثْبُتَ على هذا اليسير وعلى هذا السهل بالغداة والعشي.

كيف تَثبُت عليه؟

لا يمكن أبداً أن تثبتَ على هذا السهل القليل إلا إذا كنت مريدا وجه الله، ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾، ما صفتهم؟ يريدون وجهه، وهذا الأمر من أعمق معاني العبادة في الإسلام، حينما يريد العبد وجه ربه، ووجه الرب سبحانه وتعالى هو وجه الجمال والجلال والكمال، ثبت في الصحاح أن خير ما يصل إليه العبد في الجنة أن يرى وجه ربه، ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾(القيامة : 22)، "ناضرة" بالضاد، ليس فيه إشالة، أي طرية ندية، مثل العود الريان (شجيرة نابتة بجنب مجرى الماء الحلو) يكون عودها ريّان، خضرتها وارفة، نوارتها زاهرة، فتلك نضارة، والوجه النَّضر أو الناضر هو الوجه الطري الذي يمتلئ بالحيوية والشباب والنور، ولكن هذه الطراوة والنداوة التي تكون في وجوه الصالحين يوم القيامة ليست ذاتية، لم تطلع من ذاتهم، لا، ولكن تلك النضارة إنما هي مرآتية لأن تلك الوجوه النيرة كالمرآة، وجه المؤمن يوم القيامة يكون مثل المرآة يضرب فيه نور الله سبحانه وتعالى -وله المثل الأعلى- فيعكس وجه المؤمن نور ربه ويكون نَضِراً ناضِراً بتلك الرؤية ﴿وجوه يومئذ ناضِرة إلى رَبها ناظرة﴾ لو لم تكن ناظرة إلى ربها لما نَضُرَ وجهها، فهذه النضارة هي بسبب تلك الرؤية السعيدة التي يُثبِتُها في العقيدة أهل السنة والجماعة، ثم بعد ذلك في الحديث النبوي الشريف الصحيح المفسّر لهذه الآية يحدثنا النبي ﷺ عن سوق الجنة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا»(صحيح مسلم).

بما أن الله عز وجل حرَّم السوق عند النداء يوم الجمعة في الدنيا، وقال علماؤنا من المالكية وغيرهم "كل بيع عُقِد بعد النداء فهو باطل يفسخ، أيّ بيعة وشرية انعقدت، ولو نكاحا أي زواجا، العدول عندما يعقدون الزواج والمؤذن يؤذن يوم الجمعة فذلك الزواج باطل، انتبهوا عباد الله لا يزوج أحد أحداً ولا واحدة عند النداء يوم الجمعة، فذلك العقد باطل، فإذا كان ذلك كذلك، فكل عقود البيع والشراء والمناكحات باطلة أو فاسدة حسب اختلافات الفقهاء، وفي جميع الأحوال سيئة "لن تكون صالحة أبداً"، فالله عز وجل عوّض للصالحين جزاءَ امتناعهم عن البيع والشراء يوم الجمعة، وجعل لهم في الجنة سوقا ينعقد يوم الجمعة، وهذه السوق تعقد في كثبان، يعني في هضاب مثل جبال من الرمل، ولكن هذه الرمال ليست برمال حقيقية بل هي رمال من المسك، قال النبي ﷺ «فتهب عليهم ريح الشمال» وريح الشمال كناية في ذهنية الإنسان العربي على الهواء الطيب، كما نقول نحن في المغرب "الغَرْبي"، وفي الجزيرة العربية يقولون "ريح الشمال" كما نسجتها من معلقة امرئ القيس، من جنوب وشموأل، الجنوب تأتي لهم بالحرّ والشوم، والشمال تأتي باردة، فتهُبُّ عليهم ريح الشمال، ولكنها ريح الجنة تأتي بالغربي وبالهواء الطيب فتحثو في وجوههم، رمال المسك وترميها على وجوه الناس الصالحين الجالسين في السوق، فتزداد وجوههم جمالا وبهاء بنظرها إلى الله أولاً، ثم بالريح التي هبت عليهم من لدن الله تحثو في وجوهم المسك والجمال والبهاء، فيعودون إلى أهلهم، فلما يراهم أزواجهم يقلن والله لقد ازددتم جمالا؛ لأنه لا يدخل الجنة إلا الشباب ولو مات الإنسان هَرِماً، فإن الله يبعثه شابا إلى الجنة، فيكون جميلا ثم يزداد جمالا، والله لقد ازددتم جمالا، هؤلاء الناس من الرجال الصالحين الذين كانوا في السوق حتى هم يقولون لنسائهم وأنتن والله لقد ازددتن جمالا، حتى هن يصبحن أكثر جمالا وأحسن بهاء، وهذا كله إنما هو من هذا الخير، وهذا الجمال، وهذه البركة التي تهبُّ على المؤمن بالرضى الذي يحصل له.

إذن نعود إلى الآية ﴿يريدون وجهه﴾ الذي أراد وجه الله عرف ما أراد، ومن عرف ما أراد فإنه حينئذ يقصده، ومن عرف ما قصد -كما يقولون- هان عليه ما وجد، إذن تبين أن المؤمن ليكون مريدا حقا لوجه الله لابد وأن يعرف ربه؛ لأنه لا يمكنك أن تكون مريدا لله وأنت لا تعرف الله، لا يمكن، في الطبيعة البشرية أن يحب الإنسان شيئا لا يعرفه، فالمحبة لا تتعلق بمجهول، هذا منطق، شيء لا تعرفه إذا لم تكرهه لا تحبه، يقولون في القاعدة : «الإنسان عدو لما يجهل»، فليكون المؤمن محبا لله مريداً له لابد وأن يعرف الله عز وجل، ولا يمكنك أن تعرفه حقيقة إلا بعد أن تذوق من نعمائه وأفضاله وخيراته؛ لأن معرفة الله إنما تقع بتذوق نعمه وأفضاله وإكرامه سبحانه وتعالى، نحن الآن في الدنيا نسير إلى الله عز وجل إما أننا نعرف ديننا في سيرنا إلى الله عن طريق النصوص، الكتاب والسنة "العلم"، وإما عن طريق التجربة الوجدانية، فأما ما يكون عن طريق النصوص فهو العلم وأما ما يكون عن طريق التجربة الوجدانية فهو المعرفة، ولذلك فرقوا من قبل بين العالم والعارف بالله فليس كل عالم عارفاً بالله، وقد يكون العالم عارفاً بالله وقد يكون العارف بالله عالما وقد لا يكون.

إذن العلم علم النصوص وكيفيات العبادة، العلم أحد الأمور التي نتعلم بها كيف نعبد الله عز وجل، بالنصوص والاستدلال والقياسات والأقيسة إلى آخره، أما المعرفة فهي إحساس قلبي كما في الحديث : «عرفتَ فالزم»، فالذي عرف أي وجد بذوقه وقلبه معنى رحمة الله، ومعنى فضل الله، ومعنى كرم الله، فرق بين شخص يعد أسماء الله الحسنى كلها، هذا علم، تقول له ما هي أسماء الله الحسنى، يقول لك: الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام، حتى يكمل تسعة وتسعين، وشخص يُدرِك هذه الأسماء، يمكن أن لا يستظهرها مرتبة، ولكنه يدرك ما الرزاق لأنه عندما يجوع ويحس بأنه محتاج إلى الله عز وجل كي يرزقه ثم يحصل له رزق ويطعم هذا الرزق يبدأ يأكله ويحس بالنعمة الإلهية في قلبه، فذلك أدرك ما اسم الله "الرزاق" أحس به وذاقه وشعر بقيمة ومقام الرب الكريم الرزاق سبحانه وتعالى، وبين إنسان مثلاً نسأله ونقول: إذا مرضت من يداويك؟ يقول : الله من يشافيني، وبين أحد مرض حقيقة وذهب للطبيب الأول لم يعطه دواء، وذهب للطبيب الثاني كذلك، للطبيب الثالث، للرابع، حتى يئس وقنط ثم جاءه الفرج من الله وشافاه الشافي الذي لا شفاء إلا شفاؤه، هذا عندما تقول له : من هو الشافي؟ لا يقولها لك بلسانه ولكن يقولها لك بقلبه لأنه ذاق، تذوق من هو الشافي حقيقة، هذه معرفة، «عرفت فالزم»، والمؤمن مطالَب حتى يحصِّل في التدين الأمرين معاً، يعرف الله من خلال العلم، "الكتاب والسنة" شرط أساسي حتى لا يضل في الخرافات والخزعبلات، ثم يضيف إلى ذلك أن يذوق وأن يعرف وأن يسلُكَ إلى ربه وجدانيا؛ لأن ثمار العلم إنما تقع بالقلب، فإن لم تقع بالقلب فلا قيمة لها وذلك قوله عز وجل ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها﴾(محمد : 24) فالتدبر الذي قد يبدو عملية ذهنية إنما قيمته لما يعطي ثمارا قلبية، ولا قيمة لتدبر لا يوقظ جذوة الإيمان في القلب، يصبح حينئذ شكلاً بلا مضمون، كالأعراب في إيمانهم، ﴿قالت الاعراب آمنا قل لم تومنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم﴾(الحجرات : 14) "لما" تنفي شيئاً في الماضي ولكن فيها احتمال أن يجيء ذلك المنفي في المستقبل، أنتم أسلمتم ولكن لم يدخل الإيمان في قلوبكم بعد، ممكن أن يدخل بعد تذوقه، إذا ذقته، والدين الوسط، ونحن أمة الوسط، ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾(البقرة : 143) أن يجمع المؤمن، كما عبروا من قبل، بيّن الشريعة والحقيقة، فإنسان اشتغل بالنصوص فقط يتخشب قلبه، -هذه العبارة أستعملها شخصياً-، يصبح قلبه مثل الخشبة، جافاً، خشناً؛ لأن النصوص بدون تطبيق وجداني، وبدون تجربة قلبية لا تعطي شيئا، كمثل الحمار يحمل أسفارا، **وكثير من الناس يحفظون القنانطير المقنطرة من الكتب لا قيمة لهم ولا وزن لهم في الدين من حيث معاملاتهم، لماذا؟ لأن المعاملة تأتي من لين القلوب، من القلوب الرطبة، إذا كان القلب رطبا، تكون المعاملة رطبة، فإذا كان يحفظ والقلب خشن متخشب إذن علمه وبالٌ عليه وحجة عليه لا له، أما إن كان لا يتجاوز ما يحفظ حتى يتذوقه ويعمل به ويُصغي إلى خطاب الله فيه ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ويشعر أنه معني في نفسه لأنه فرد من الأفراد الذين آمنوا فيستجيب لله، يستجيب لما يحييه إذا دعاه إليه الله ورسوله، فذلك مرجو له أن يجمع بين نصوص الشريعة وحقيقة التدين التي هي سلوك القلب إلى الله عز وجل.**

ذاق طعم الإيمان

إرادة الله التي تثبت العبد على توبته لا تكون إلا بتذوق ما الإيمان، يجب على الإنسان أن يتعلم كيف يتذوق الإيمان، يتذوقه بمشاهدة آثار رحمة الله في نفسه وفي الخلق وفي الآفاق، فإذا شاهد ذلك ذاقه حقاً، وإذا ذاق يحب، لأنك حينما تذوق الشيء تعرفه، وإذا عرفته ووجدت حلاوته أحببته، وحلاوة الإيمان التي يتحدث عنها النبي ﷺ لا تكون إلا بعد ذوق، لأن الحلاوة ما هي؟ الحلاوة شعور وجداني، وتجربة خاصة لا تتعدد، معنى هذا الكلام أنه لا يمكن أن تعطي لأحد ما الحلاوة التي وجدتها أنت في الأمور المادية أو في الأمور المعنوية، مستحيل، لابد ليعرف ما الحلو وما درجة الحلو، لابد له من أن يذوقه أيضاً، كما أمثل مراراً، لو أنك أردت أن تشرح ما العسل لشخص لم يذقه قط في حياته فإنك لن تستطيع، تقول له : هذا هو العسل، تلده النحلة، وإنه حلو، اشرح له ما شئت، لن يعرفه إلا في حالة واحدة، يوم تعطيه ملعقة منه ويذوق، عندها سيعرف ما هو العسل؟ قبل أن يذوقه يستحيل استحالة مطلقة أن يعرف ما العسل، وسائر الأمور الذوقية، الحلاوة والملوحة، كل الذوقيات لا يعرفها إلا بعد ذوقها لأن اسمها "الذوق" من هنا قالوا إن الذوق تجربة فردية يعني لا تتعدد لا يمكن أن أشرح لك الذوق ما هو، كما قال الغزالي رحمه الله :

«فكان ما كان مما لست أذكره

فظُنَّ خيرا ولا تسأل عن الخبر»،

في إشارته اللطيفة، يتحدث عن تجربته الدينية الوجدانية يقول لك هذه الأمور لا يمكن شرحها، والذي يمكن هو شرح الطريق إليها، كيف تفعل حتى تذوق، لا أقل ولا أكثر، أما أن يعطيك الثمرة، فمستحيل، سِرْ أنت وبيديك اقطف الثمرة، ابك على مَولاك، وتب إلى مولاك، وحاول أن تتذوق معنى مولاك في نفسك وفي الحياة، وبعد ذلك تدرك ما أسماء الله الحسنى، ما الرحمان، وما الرحيم، وما الملك، وما القدوس، وما السلام، وما المؤمن، إلى آخر الأسماء، سوف تدركها إدراكا وجدانيا؛ لأن ديننا هكذا طبيعته في الدنيا وفي الآخرة.

الدين تجربة فردية قبل أن يكون جماعية، فردية أولا ثم جماعية ثانيا، ولكن فردية بالأساس كالموت- كما قلت من قبل- لا يمكن أن يموت الناس بصورة واحدة؛ لأن الله عز وجل قال في القرآن الكريم كل نفس ذائقة الموت، فمادام أن الموت ذوق فلا يتعدد، ولن يخبرك أحد كيف مات، مستحيل، ولو كانت الوسيلة واحدة، ولو ماتا بطريقة واحدة، كل واحد الله أعلم بسكرته، ما حجمها، وما شكلها، وما حرها، الله أعلم بما وجد؛ لأن الموت شيء يُتلقى، ويُحس بالإحساس، فربَّ ميت في موته وهو يموت يجد ريح الجنة، كما قال الصحابي الجليل : «أخبِر رسول الله أني أجد ريح الجنة» ضرب في الجهاد صحابي جليل وهو يموت، مازال لم تكتمل موته يقول لصاحبه أخبر النبي ﷺ وقل له إني أشم رائحة الجنة، وربّ شخص وجد غيرها نسأل الله العافية من غيرها.

خلاصة

من هنا إذاً نخلص أن أساس الإرادة أن تعرف، وأساس المعرفة أن تذوق، إذا ذقت أحببت؛ لأنك حينما تذوق نعماء ربك تحب ربك لأنه يُحبِّبُ خَلْقَهُ فيه بنعمائه القابلة للذوق، وحينئذ إذا أحب الإنسان ملأ قلبه الشوق إلى مولاه، فيسلك إليه ذُللا، فرحا مسرورا، يجد شوقاً يحدوه إليه، لا يجد في ذلك لا ملالاً ولا سأما، فيثبت بإذن الله عز وجل على طريق الله مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه.

(*) هذه هي الحلقة الثانية من حلقات منازل الإيمان ألقيت بالجامع الأعظم بمكناس وهي مادة مسجلة على شريط سمعي .

أعدها للنشر : عبد الحميد الرازي

الاستخلاف مفهومه وشروطه وثمراته

ذة. هند المقري

﴿النص القرآني : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾.(النور : 55).

الآية الكريمة تتمحور حول مسألة الاستخلاف في الأرض وإمكانية تحقيقه على أرض واقع الأمة الإسلامية.

وقبل التطرق للشروط لا بأس من إلقاء الضوء على :

مفهوم الاستخلاف وأنواعه

الاستخلاف هو : النيابة والوكالة أي القيام مقام الوكيل في تنفيذ أمره وقد ذكر في القرآن لفظ الاستخلاف 6 مرات، وورد في ألفاظ (خليفة، خلفاء، خلائف) 9 مرات ورغم ورود اللفظ في الذكر الحكيم قليلاً إلا أن دلالته على قدر كبير من الأهمية.

وينقسم الاستخلاف إلى نوعين (خاص وعام)

أ- الخاص : هو استخلاف فرد معين قال الله تعالى : ﴿يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق..﴾(ص : 26) وهذا القسم انتهى بوفاة الرسول ﷺ.

ب- العام : وهو استخلاف الجماعة ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾(البقرة : 30) وورد كذلك في السنة «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون»(رواه مسلم).

وهذا النوع من الاستخلاف ينقسم بدوره إلى :

● **استخلاف تكويني :** ومضمونه أن الله تعالى أودع في الانسان -من حيث إنه إنسان إمكانية تحقيق الاستخلاف في الأرض ﴿ثم جعلناكم خلائف من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾(يونس : 65)

● **استخلاف اجتماعي :** ومضمونه هو إبدال وتغيير قوم بقوم آخرين ومن أدلته قول الله تعالى : ﴿قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾(الأعراف : 133) ويضم هذا الاستخلاف الاستخلاف داخل الأسرة : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ﴾(سورة الروم) وداخل العشيرة : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ وداخل القبيلة والشعب ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾(سورة الحجرات).

● **استخلاف تكليفي :** ومضمونه إظهار الانسان لربوبية الله سبحانه وتعالى وألوهيته في الأرض وذلك بالعبادة. وهذا القسم هو جوهر موضوع الآية الكريمة ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾.

شروط الاستخلاف

وكأن للوعد العظيم من عند خالق السماوات والأرض ثمنٌ، وثمنه أن يعبد المسلمون ربهم حق العبادة، العبادة التي أمروا بها أي أن يخضعوا لمنهج الله بكل تفاصيله فإذا عبدوه تحققت هذه الوعود الكبرى التي تُحل بها مشاكل المسلمين.

والخضوع لمنهج الله يجب أن يكون خضوعاً شمولياً يبدأ من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية ونهجه التفصيلي يبدأ من "يعبدونني".

والعبادة طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تُفضي إلى سعادة أبدية فإذا أخل الطرف الآخر بما عليه من عبادة الله، فالله جل جلاله في حلٍّ من وعوده الثلاث : الاستخلاف، التمكين والأمن. فعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى تعودوا إلى دينكم». ﴿والله بالغ أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

وهناك آية تلقي الضوء على حقيقة هذا القانون. قال تعالى : ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾(سورة مريم).

وقد أجمع العلماء على أن تركَ الصلاة شيء وإضاعةَ الصلاة شيء آخر. إضاعة الصلاة لا يعني تركها بل تفريغها من مضمونها.. وقد لقي المسلمون هذا الغي.

والاستخلاف لا يكون إلا بالدين الذي يرتضيه الله لنا. أما إذا فهمناه فهما يختلف عن فهم الصحابة. فهمناه مظاهر، فهمناه خصومات. فهمناه تعصبات. فهذا الفهم لا يستحق أن نُنصر من خلاله.

وقد قال أحد العلماء البريطانيين هداه الله للاسلام كلمة رائعة : **"أنا لا أصدق أن يستطيع العالم الاسلامي اللحاق بالغرب على الأقل في المدى المنظور- لاتساع الهوة بينهما، ولكني مؤمن أشد الإيمان أن العالم سيركع أمام أقدام المسلمين لا لأنهم أقوياء ولكنْ خلاَصَ العالم بالإسلام".**

والنصر والتمكين هو جائزة عظيمة لأهل الصبر والثبات ﴿ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض﴾(سورة القصص). وهو كذلك مقدمة لحمل الأمانة الربانية ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾(سورة الأنبياء).

قال الشوكاني في تفسيره فتح القدير : "أئمة أي قادة في الخير ودعاة إليه وولاَّةٌ على الناس. فلا بد من مقدمات اشترطها الرحمان لحمل الأمانة على اتباع الأنبياء والرسل قبل النصر والتمكين والاستخلاف وهذه الشروط هي : الإيمان، والعمل الصالح، والاختبار والتمحيص، أي تهييء الأجواء لاحتضان أهل الإيمان وأخيرا النصرة والتمكين. ولذلك فيمكن إجمال شروط الاستخلاف في ما يلي :

● **الأول الإيمان الصادق** الخالص لله تعالى وقد وضحه الله في قوله : ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾(سورة غافر).

● **الثاني العمل الصالح** المنبثق من هذا الإيمان الراسخ، لأن العمل الصالح هوعلامة صدق الإيمان في العقل والقلب ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾(سورة النور).

● **الثالث الاختبار والتمحيص** : ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا إن نصر الله قريب﴾(سورة البقرة).

وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال : «قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل من الناس، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وإن كان في دينه دقة خفف عنه وما يزال البلاءُ بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة»(رواه الإمام أحمد).

وعلامة النجاح في الامتحان هو الثبات على الحق دون اتباع الهوى والشهوات. قال تعالى : ﴿ولقد كُذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله﴾(سورة الأنعام).

● **الرابع تهييء الأجواء :** فلا بد من وجود حاضنة تحتضن أهل الإيمان والتقوى وهذه بداية الجائزة من الله تعالى في الدنيا حيث يُكرم الحق تعالى أولياءه بأنصار مخلصين يحبون أهل الإيمان ويسيرون في ركابهم، ويصبح الاسلام والاستخلاف في بلادهم رأيا عاما نابعا من وعي عام بصلاحية الإسلام وحده، والاستخلاف على أساسه.

ولقد هيأ الله سبحانه وتعالى لرسوله وللمؤمنين معه بعد رحلة اختبار وابتلاء وامتحان وصدق وصبر وثبات، هيأ لهم حاضنة طيبة في أرض طيبة . قال تعالى : ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون. والذين تبوؤوا الدار والايمان من بعدهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾(سورة الحشر).

ولا بد من وقفة قصيرة عند مسألة التهييء والاحتضان.

فالدعوة لا بد لها من هذه المرحلة لتحصل النصرة والتمكين وهي مرحلة تسبق مرحلة النصرة لاستلام الحكم ويقصد بالتهييء والاحتضان وجود جمهرة وحشد من شباب الدعوة المطبق للاسلام ويجب الاشارة أن هذ الرأي العام يشترط أن يكون نابعا من معرفة وفهم سليمين وحكيمين أي عن وعي عام بأفكار الدعوة الرئيسية وليس مجرد مشاعر جياشة تبرز وتنتهي بسرعة.

وكذلك بروز الاستعداد لدى الناس للوقوف بجانب حملة الدعوة وقد طبق الرسول ﷺ قبل طلب النصرة لإقامة الدولة أي قبل طلب البيعة الثانية بإرسال مصعب رضي الله عنه لمدة عام كامل إلى المدينة فعمل على تهيئة الأجواء وإيجاد الرأي العام والاستعداد للوقوف بجانب الدعوة.

ثمرات الاستخلاف

ومن ثمار هذه الشروط :

- تحقق وعد الله بالنصرة والتمكين : وهي المرحلة الأخيرة حيث يمن الله تعالى على المؤمنين بأهل القوة والمنعة من أبناء هذه الحاضنة فينصرون دينه ويمكنون لأهل الايمان المخلصين. ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشركون﴾.

إن الناظر في أحوال عمل الدعوة يرى انطباق المقدمات التي تسبق نصر الله وتمكينه انطباقا تاما على المؤمنين في عهد رسول الله ﷺ حيث أنهم آمنوا بالله ربا وبمحمد رسولا ووقفوا وسط الشرك والصد عن سبيل الله صامدين ثابتين رغم كل أنواع القهر والجبروت والتسلط والتعذيب التي يعجز اللسان عن وصفها، وبذلك سطروا بصبرهم سيرة أتباع الأنبياء السابقين من أنصار عيسى عليه السلام عندما نشروا بالمنشار، وسيرة أنصار موسى عليه السلام عندما ذبح فرعون أبناءهم واستحيا نساءهم، وسيرة أصحاب الأخذوذ الذين أحرقوا في النيران ذات الوقود وسيرة صحابة الرسول ﷺ كبلال وخباب وعمار وياسر وسمية وغيرهم.

نعم لقد آمنت هذة الثلة الطيبة إيمانا طيبا وعملت عملا صالحا بحملها لهذه الأمانة لتمكينها في الأرض بالاستخلاف وصبروا على ذلك، وهاهي المكرمة الربانية قد بدأت تتنزل عليهم بامتداد الدعوة وقوتها وكثرة أنصارها وتهييء الحاضنة الكبيرة في أرض المدينة.

- تحقق و عد الله بالحياة الآمنة : ﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾ لأن الأساس في الاستخلاف استخلاف الأمناء الأخيار الذين يقومون بنشر قيم الخير والعدل والأمن فلا تستقيم الحياة إلا بذلك.

هل ظهور الكفار تمكن أم تقلُّب؟

وتدفعنا الآية الكريمة إلى سؤال محير هو : هل الفاسق والكافر لا يُمَكَّن لهما في الأرض؟ وماذا عن دول أمريكا، وروسيا والصين في عصرنا، وعن الروم والفرس والفراعنة في الأقدمين؟ ألم يُمكن لهم؟. أليست أمريكا واليهود سادة العالم يضعون ما يشاؤون يأمرون ولا يؤمرون؟

الإجابة على هذه الأسئلة تحتاج إلى تأمل دقيق للآية الكريمة فهذه الأخيرة تخص التمكين للذين آمنوا إذا آمنوا، وتنزع التمكين عنهم إذا فسقوا وكفروا، والخطاب موجه لهم خاصة دون البشرية.

والذي يرجح هذا المعنى هو ان الكفار المشركين في القرآن، لا يعبر عن ظهورهم بألفاظ التمكين والاستخلاف، ولكن يعبَّر عنه بألفاظ ودلالات أخرى منها قوله تعالى في آل عمران : ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبيس المهاد﴾(آل عمران).

ويجب ملاحظة التقابل بين لفظ "التقلب" في البلاد في هذه الآية ولفظ الاستخلاف والتمكين في الأرض في آية النور. وكأن العمارة الحقيقية المكتملة حضارتها الشاملة الكونية لا يمكن ألا أن تكون بروح "الإيمان" والعبادة "وعدم الإشراك" أما عداها فمجرد تقلب في البلاد مهما كثر عددها ، أو طال أمدها..

واللآفت للانتباه هو أن الله تعالى في آية النور وبعد آيتين رفع عنا حَرَجَ السؤال

تتمة: ص 15

من أوراق شاهدة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

عن سيريلانكا التي في القلب سأحكي

مترجمات وخادمات في سبيل الله

وصلت السيارة التي تقلنا إلى المنطقة التي يوجد بها المركز الدعوي بالعاصمة كولومبو..

وأخيرا رست عيوننا عند معالم إسلامية، تبدت بيضاء مشرقة في لباس النساء والبنات المتحجبات ولباس الرجال الملتحين الذين كانوا يعبرون أزقة وشوارع المنطقة.. وسبحان الله العظيم قارئي، (والله على ما أقول شهيد) فبقدر ما بدت لنا ملامح السريلانكيين البوذيين والهندوس كابية بلون غامق يكاد يميل إلى السواد، وعيون موصدة تكاد تنطق بضنك ما، أو حزن ما، أو لعله بكل بساطة انطواء يميز الشخصية السريلانكية ، أقول بقدر ما سجلنا ذلك بانقباض في القلب ونحن البعيدون بآلاف الكيلومترات عن أرضنا المغربية الإسلامية الطيبة، بقدر ما اعترتنا راحة وانبساط نفسي وشعور بالتواشج ونحن نمسح ملامح السريلانكيين المسلمين الساكنين بالقرب من مركز كولومبو، فقد كانت وجوههم، سبحان الله، مجللة بنور رباني وغلالة محبة وهيبة أضفت على بشرات وجوههم انفتاحا مال بها إلى الصفاء والبياض.. فالحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة.

ودخلنا إلى المركز.. إلى حيث الجناح المخصص للنساء، وهناك وجدنا أنفسنا وسط خليط من اللغات والسحنات والملامح، لنساء عربيات أو أعجميات جمعت بينهن الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وَهَمٌّ تلبية دعوة رسول الله ﷺ "لتبليغ ولو آية".. فكأننا ولجنا قناة تلفزية مغربية في ساعات ذروتها بين مسلسل مغربي ومصري وتركي وهندي وسعودي.. وتلك من آيات هذا الدين العظيم الذي جعلنا شعوبا وقبائل لنتعارف، فانخرطنا بما علمنا الله عز وجل من أبجديات اللغة الإنجليزية ومهارات اللغة الفرنسية، ولهجات عربية محلية في تبادل تحية الإسلام والسؤال عن أحوال الإيمان وأحوال الدين في البلدان الأصلية، وانتابني شعور غامر بالامتنان لله عز وجل الذي واصل بين القلوب وإن اختلفت الألسن.

ونحن نستأنس بالمكان وأهله، أقبلت نحونا أخت سريلانكية، منفرجة الأسارير جمة الحياء قدمت نفسها على أنها مترجمة المركز، وأنها في خدمتنا حتى نغادر إلى مناطق أخرى للتمرن على جهد الحبيب المصطفى ﷺ : جهد الدعوة.

ومن جملة ما قالته أنها امرأة متزوجة، وأنها رفقة زوجها كما أزواج سيريلانكيين آخرين يتعاقبون على المركز للقيام بأعمال الترجمة وأيضا لخدمة الزائرين، الوافدين على سريلانكا من كل أصقاع العالم، للقيام بعمل الدعوة، ذلك العمل الذي جعل الصحابيات الفضليات يركبن البحر كأم حرام وقبلهن نساء الدعوة الأوليات اللواتي عبرن قارة آسيا حيث الجزيرة العربية رفقة أزواجهن، ليلجن قارة أخرى قارة إفريقيا، حيث كانت هجرتهن إلى الحبشة، فرارا بدينهن من بطش سفلة قريش..

فهل يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها؟؟

والخدمة كما في ترتيب الإخوة والأخوات السريلانكيين مترجمين ومترجمات تشمل أشغال الغسل والتنظيف والأكل، وترتيبات النوم إلخ.. شيء يشبه عمل الخادمات في وسطنا المغربي بل هو عمل الخادمات عينه، تقوم به الأخوات السريلانكيات بكل عفوية وهن المترجمات المثقفات عن طيب خاطر ودون شعور بعقدة الدونية أو ما شاكلها، ولو أن مترجماتنا العربيات دعين إلى عمل مشابه وبنفس حس التواضع والتفاني لوصلت أخبار إساءة معاملتهن والمس بحقوقهن إلى دهاليز الأمم المتحدة وسجل الحدث ضمن ملفات العنف ضد النساء، فالحمد لله على نعمة الدعوة التي تجعل الخدمة تصنف في خانة العمل في سبيل الله ويستوي في البدل، العلية والعوام، المثقفون والبسطاء.

غيرنا ملابسنا وارتحنا قليلا في جو من الحرارة الخانقة التي لم يكن يرطبها إلا المروحيات الهوائية التي لا غنى للبيوت السريلانكية عنها، وأثناء ذلك كانت الأخت السريلانكية في تفان عجيب أكاد أجزم أنه صحابي الصفات تنتقل بين النساء منقبة في الوجوه عن طلبات حقيقية وحتى محتملة لتلبيتها على الفور، وفي كثير من المرات نابت لغة الإشارة وأكثر منها لغة القلوب في تبليغ الحاجات إلى الأخت المترجمة التي كانت تتدفق رقة.. انصياعا..

ويكاد رأسها لا يستقر فوق كتفيها، طأطأة و قبولا لما كان وسيكون من مطالب، حد إحراجنا وإشعارنا بأن مكارم الأخلاق في طبعتها النبوية استقرت عند هؤلاء القوم من إخواننا السريلانكيين أما نحن فما ورثنا إلا القشور.. ويبقى زادنا من الأخلاق مقارنة بهم فقير.. فقير..

ودعني أقول لك قارئي أن التمرن على عيش الدين إحساسا وممارسة، على طريق رسول الله ﷺ رافقنا بالدقيقة والثانية، فلا حركة ولا سكون إلا على سنة المصطفى ﷺ جلوسا وأكلا وتواصلا ونوما، وفي كل تلك المحطات أبهرنا عمق تعلق الأخوات السريلانكيات بالسنة النبوية الشريفة وحرصهن على عبادة التفكر في شأنها.وعلى سبيل المثال فإن الطعام يرافق بأحاديث نبوية في السياق مع استحضار فضل هذه النعمة، وإكرام المتفضل عز وجل للعبد برزقه الطعام وتسخير الجسم بكل أعضائه لاستقبال هذا الرزق بعد تسخير الأرض لإعداد هذه النعمة. وحركة التدبر هذه، تشفع بنية التقوي الجسماني لعبادة المولى سبحانه باعتبار أن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف..

حتى لعق الصحفة كما كان يفعل الحبيب طلبا للمغفرة، والتقاط فتات الخبز بكل عناية وأكله تقديرا لنعمة تيسيره لنا من الله عز وجل.. (في الوقت الذي تزهق فيه ملايين الأرواح في العالم بسببه، إذ يشح الغيث ويتمدد التصحر، ويجف الضرع وتنهب مؤسسات الإغاثة "الإنسانية" ما فضل عن نادي الأغنياء من معونات غذائية.. وفي الوقت الذي يطاح فيه برؤوس زعماء في القرن الإفريقي كأوراق الشجر، حتى سرت النكتة السوداء الشهيرة في إفريقيا بأن أول من يصحو باكرا في إفريقيا يصبح رئيس جمهورية، وذلك لهشاشة الحكم وسيولة الانقلابات المدنية والعسكرية الناجمة عن مشاكل الجفاف وندرة المواد الغذائية)، كل تلك المعطيات الإسلامية الباهرة الحكيمة، تجعلنا نتساءل على طريقة رسول الله ﷺ : أفلا نكون عبادا شكورين؟ وهو الشكر الذي تعلمنا أبجدياته الصادقة بين أخواتنا السريلانكيات مما سنفصل فيه لاحقا.

بعد صلاة العصر كان لنا موعد مع شيخ سريلانكي ألقى علينا كلمة دعوية بليغة ومؤثرة في اتجاه إعدادنا للخروج إلى القرى السريلانكية، تلك القرى المنكوبة بإعصار تسونامي.

وسنتوقف في حلقة قادمة عند هذه الكلمة الغنية القطوف، قبل أن نشد الرحال إلى فصول موت مؤجل طرق باب القرى المسلمة إبان الضربة الموجعة لتسونامي وتراجع أمام شموخ عقيدة أبنائها وتشبثهم العجيب بدينهم وهم القلة الغريبة المستضعفة، **وللحديث بقية.**

ندوة العمارة الإسلامية بمراكش

نظمت مؤسسة البشير بمراكش ندوة دولية حول العمارة الإسلامية يومي 8 و9 جمادى الأولى الموافق 23 و24 أبريل 2010. شارك فيها عدد من الباحثين والمتخصصين في العمارة الإسلامية، من داخل المغرب وخارجه. ولقد توزعت المداخلات على المحاور التالية:

1- العمارة الإسلامية: إبداع حضاري متجدد
2- العمارة الإسلامية: فقهها وتجليات أحكامها
3- العمارة الإسلامية: إشكالية الإبداع والمنهج
4- العمارة الإسلامية في المشرق الإسلامي
5- العمارة الإسلامية في غرب العالم الإسلامي

وللمزيد من المعلومات حول الندوة ينصح بتفحص موقع المؤسسة:
www.albachir.net

آيبون... تائبون!

2- كل هذه الدموع!

ذة. نبيلة عزوزي

بحثت عنه كثيرا.. ولم تجده.. كل أمنيتها أن تجده! تذرف دمعا حارا، كلما رأت ابنيْها، وقد صارا شابين مكتملي الرجولة.. زفرة حرى تخترق صدرها : "يا رب.. كبر ابناي.. وكبر همي!" لم تنس ذلك اليوم المطير القارس البرودة.. طردها زوجها مطلقة.. كان الوحل يغرقها إلى ركبتيها، وهي تقطع مسافة بعيدة راجلة إلى قريتها النائية.. تحمل طفليها الصغيرين، وهما يرتعدان بردا وجوعا..! انضاف همها إلى هم أمها.. فأمها أرملة معدمة.. والجيران ليسوا أحسن حالا منها..!

لاح الصبح، فذهبت إلى السوق الأسبوعي البعيد، تحمل رضيعها، وفي يدها خمسة عشر درهما.. وهي تتساءل في حيرة : ترى أأكسوهما.. أم أشتري ما أطعمهما به؟!

وقفت أمام ملابس الخردة .. وعلى حين غفلة من البائع سرقت سريدة صوفية(اتريكو).. واختفت لتلبسها لصغيرها.. ثم اشترت بالنقود الطعام..

شعر الصغير بالدفء، فنام على ظهرها.. وفي طريق عودتها، وجدت صفيحة قد تكون من بقايا سيارة محطمة.. فأخذتها لتطبخ فيها الطعام لمدة طويلة..

عملت في الحقول، ثم في ضيعة فلاحية (عاملة رسمية).. وجاءت لحظة الندم، تعتصر قلبها.. تذهب كل أسبوع إلى السوق لمدة ثمانية وعشرين سنة، تبحث عن ذلك البائع، علها تجده وتعتذر له.. لتعطيه مائتي درهم مقابل ثمن ذلك اللباس الذي كان بثلاثة دراهم.. وترجوه أن يسامحها.. تبكي بحرارة.. تستغفر.. الله غفور رحيم... لكن، هل يسامحني ذلك البائع؟! ما ذا كنت سأخسر لو صبرت على بَرْدِ ابني وبكائه؟! ماذا لو طلبت منه ذلك اللباس؟!

صارت تشترى ملابس دافئة ولو بالية، لتهديها لأطفال قريتها الفقراء.. وتهدي ثواب ذلك للبائع.. تستغفر لها وله.. وتدعو الله أن تلتقي به.. أن تعرفه..!

صارت تنصح زميلاتها وابنيْها بالتصدق بما فضل من ملابس.. هي وحدها، تعرف ماذا يعني التصدق بالملابس، خاصة في البرد القارس!

تنظر إلى يدها الخشنة باكية وتقول : "كم أخاف أن تشهد في يدي.. فما ذا سأقول لربي؟!".

التوريث الدعوي

الحلقة الأولى

د. محمد موسى الشريف

قضية التوريث في العمل الإسلامي والدعوة إلى الله تعالى تعني أن يقدم السابق للاحق خلاصة تجاربه، وعصارة حياته الدعوية، ليبدأ اللاحق من نقطة انتهاء السابق، فهذه القضية إذا من أهم القضايا الدعوية على الإطلاق لأنها توفر الجهود، وتسدد المسيرة، ويؤمن معها وبها الزلل والخلل إن شاء الله تعالى.

والملاحظ أن الهيآت الإسلامية والتجمعات الدعوية الرسمية منها والشعبية لا تكاد تلتفت إلى هذه القضية المهمة، **فتجد المسؤولين يغادرون مواقعهم التي مكثوا فيها سنوات فيأتي من لا خبرة له أو صاحب الخبرة الضحلة ليتولى مسؤولية عمل لم يتقنه أو لم يحط به علما كما ينبغي، وهو إما أن يكون قد شارك في فريق ذلك المسؤول عن العمل أو أنه جديد تماما، وفي كلتا الحالتين، فإنه قد ورث تركة ثقيلة، مدار إدارتها على تعاليم شفوية في أكثر الأحيان ليبدأ طريقا طويلا يكاد يكون فيه لا صلة له بمن سبقه.**

والضعف في قضية التوريث هذه ملحوظ في جوانب كثيرة منها :

- المؤسسات الدعوية والخيرية :

وذلك كهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمراكز الدعوية، والمندوبيات التعاونية الدعوية، وجمعيات تحفيظ القرآن، ومكاتب وجمعيات البر وهيئات الإغاثة،...الخ وهي كلها لا تكاد تملك من وسائل التوريث الصحيحة إلا مقدارا يسيرا، لا يصح أن يكتفى به.

- تدريس العلوم الشرعية :

يلاحظ أنه ليس بين من يدرسون العلوم الشرعية تنسيق ولا توريث إلا في النادر، فنجد مسجدا من المساجد يدرس الشيخ فيه كتابا في الفقه مثلا، ويطول عجبك إذا علمت أن مساجد كثيرة تدرس الكتاب نفسه في وقت واحد وفي أمكنة متقاربة، إذ يدرس من شاء ما شاء بلا تنسيق ولا توريث، ثم إنه قد يفرغ الشيخ من كتابه الذي يدرسه ليبدأ بتدريس الكتاب نفسه مرة أخرى، فلا يعتني بهؤلاء الذين درسوا كتابه لينقلهم إلى مستوى أعلى أو إلى مسجد آخر، ولا يكاد الشيخ يكلف نفسه النظر في الطلاب ليختار منهم النابهين ليورثهم علمه وخبرته، وهذا مما سأوضحه في المقالات القادمة إن شاء الله تعالى(1).

- النتاج الفكري والثقافي :

وقلة التوريث في هذا الجانب ملحوظة إلى حد كبير، إذ أن **عشرات من المؤلفين يكتبون في موضوع واحد مكرر مطروق، والذي يفترض هو أن يُنظر فيما هو معروض في الأسواق ويُقوم فإن أغنى فهذا هو المطلوب، وإن لم يُغن فيؤلف بالقدر الذي يحتاج إليه الناس، وبهذا يكمل المؤلفون في تاليفهم بعضهم بعضا، ويورث السابق للاحق المادة المهمة التي يبني عليها اللاحق تاليفه، لكنا لا نجد هذا أبدا إلا في القليل النادر.**

وكم ألف السابقون تأليف مهمة أُسدل عليها ستار النسيان وجاء من بعدهم ليكتب في الموضوع نفسه -سواء أعلم أم لم يعلم بالتأليف السابق- وقد يكون تأليف السابق أحسن وأعظم من تأليف اللاحق، لكن المشكلة تكمن في غياب التوريث تماما، وكم أُلِّف من رسائل علمية في موضوعات مهمة. وقد مضى على هذا التأليف سنون عديدة، ثم يفاجأ الناس بمن يعيد التصنيف في الموضوع نفسه. والسبب هو أن المؤلف المتأخر لم يعرف بالتأليف المتقدم، أو أن المصنفات المتقدمة لم تنشر وإنما بقيت مطوية في خزائن النسيان.

ومثال على هذا أيضا أننا نجد من يكتب في قيام الليل فيتبع سبيل من سبقه في التأليف بلا نظر إلى متطلبات العصر الحديث الذي يعيشه، ولا كيف يوفق بين تعقيداته ليخرج بطريقة عملية لتحقيق المطلوب من قيام الليل، وذلك لأن المؤلف اللاحق لم يكلف نفسه عناء وراثة السابق وراثة حقيقية نافعة.

ولهذا كله كثر الغثاء في السوق الثقافية الفكرية، وكثر الطرح النظري، وقل الطرح العملي المناسب لحال أهل العصر.

- قلة الاستفادة من الدعاة والصالحين والعلماء :

إذ أن **جمهرة كبيرة من الدعاة والصالحين والعلماء يغادرون هذه الحياة بدون أن تستفيد منهم الأجيال وراثة مفيدة قائمة على أصول علمية واضحة، ولذلك يفقد العالم الإسلامي بهذا كنزا ثمينا لا يعوض غالبا إلا أن يشاء الله تعالى، فلو كانت هناك مؤسسات مهمتها استقاء ما عند أولئك الدعاة والعلماء والصالحين وتتبع أوضاعهم وتسقُّط أخبارهم، وتسجيل المهم من خبرتهم وأحوالهم لكان ذلك أمرا حسنا يدل على عناية الأمة بالخيرة من أبنائها والعظماء منهم(2).**

والعجيب أن الأمم من حولنا -شرقا وغربا- تنبهت إلى هذه القضية المهمة في وقت مبكر، وعقدت مجامع، وأسست مراكز، وعملت كل ما في وسعها للاستفادة التامة من علمائها وأعلامها، فلا يغادرون هذه الحياة إلا وقد حصلت الاستفادة التامة من حياتهم غالبا، فحبذا لو التفتنا إلى هذا الأمر المهم، إذ أن الجهود المبذولة اليوم تكاد تقتصر على مظاهر وشكليات في هذه القضية.

نعم هي مهمة لكن لا ترتقي إلى أن تبلغ المستوى المطلوب من الاستفادة والتوريث الحسن، فما الذي سيستفيده المجتمع من حفلات التكريم وجوائزها -على قلتها وندرتها وذهابها لغير أهلها عادة- إذا اكتُفي بذلك ولم يُستفد من أولئك الأعلام الاستفادة الحقيقية.

معنى التوريث

لغة :

وَرِث، يرث وَرْثا، ووراثة، ووِراثاً، وتُراثاً، وميراثاً، وإرثاً، وإِراثاً :

صار ما خلفه إليه فهو وارث، وهم ورثة ووُرّاث.

والمال مَوْرُوث، والأب مَوْروث.

ويقال لكل من حصل له شيء من غير تعب : قد ورث كذا.

تجد المسؤولين يغادرون مواقعهم التي مكثوا فيها سنوات فيأتي من لا خبرة له أو صاحب الخبرة الضحلة ليتولى مسؤولية عمل لم يتقنه أو لم يحط به علما كما ينبغي، وهو إما أن يكون قد شارك في فريق ذلك المسؤول عن العمل أو أنه جديد تماما، وفي كلتا الحالتين، فإنه قد ورث تركة ثقيلة، مدار إدارتها على تعاليم شفوية في أكثر الأحيان ليبدأ طريقا طويلا يكاد يكون فيه لا صلة له بمن سبقه..

وورث ماله ومجده.

وورث منه علما : استفاد.

وورّثه : خلّف له مالا أو مجدا.

والوارث من أسماء الله تعالى : قال تعالى : ﴿ولله ميراث السماوات والارض﴾(آل عمران : 180).

والوراثة : أن يحصل للإنسان شيء لا يكون عليه فيه تبعة ولا عليه محاسبة(4).

اصطلاحا :

والتوريث المقصود في هذا البحث هو ما يتركه السابق للاحق من خبرة أو تجربة أو لوائح أو طرائق في مجال الدعوة خاصة.

التوريث في كتاب الله تعالى

ذكر الله تعالى في كتابه الوراثة والتوريث مرارا(4)، وذلك علامة على أهمية هذه القضية، وقد كان الأنبياء العظام مهتمين بها أيضا، فمن ذلك قوله تعالى قاصا قول زكريا عليه السلام:﴿وإني خفت الموالي من وراءي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا﴾(سورة مريم).

فزكريا عليه السلام يخاف انقطاع النبوة من نسله، ويريد من يرثه : يرث العلم ويرث النبوة؟

قال الأستاذ سيد رحمه الله تعالى :

"صور حاله، وقدم رجاءه، ذكر ما يخشاه وعرض ما يطلبه : إنه يخشى من بعده، يخشاهم ألا يقوموا على تراثه(5) بما يرضاه، وتراثه هو دعوته التي يقوم عليها -وهو أحد أنبياء بني إسرائيل البارزين- وأهله الذين يرعاهم، ومنهم مريم التي كان قيما عليها وهي تخدم المحراب الذي يتولاه.. وهو يخشى الموالي(6) من ورائه على هذا التراث كله، ويخشى ألا يسيروا فيه سيرته...ذلك ما يخشاه، فأما ما يطلبه فهو الولي الصالح الذي يحسن الوراثة، ويحسن القيام على تراثه، وتراثه النبوة من آبائه وأجداده.."(7).

وقال الشيخ الإمام ابن كثير(8) رحمه الله تعالى :

"وجه خوفه أنه خشي أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفا سيئا، فسأل الله ولدا يكون نبيا من بعده ليسوسهم بنبوته وما يوحى إليه فأجيب في ذلك، لا أنه خشي من وراثتهم له ماله، فإن النبي أعظم منزلة وأجل قدرا من أن يشفق على ماله إلى ما هذا حده أن يأنف من وراثة عصباته له، ويسأل أن يكون له ولد فيحوز ميراثه دونهم، هذا وجه".

الثاني : أنه لم يُذكر أنه كان ذا مال بل كان نجارا يأكل من كسب يديه، ومثل هذا لا يجمع مالا، ولا سيما الأنبياء عليهم السلام فإنهم كانوا أزهد شيء في الدنيا.

الثالث : أنه قد ثبت في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال : «لا نورث، ما تركناه فهون صدقة»، وفي رواية عند الترمذي بسند صحيح : "نحن معشر الأنبياء لا نورث" وعلى هذا فتعين حمل قوله : ﴿فهب لي من لدنك وليا يرثني﴾ على ميراث النبوة(9).

ونعى الله تعالى على أقوام يرثون الكتاب بدون فهم ولا تطبيق ولا تدبر، فقال عن بني إسرائيل : ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وإن ياتهم عرض مثله ياخذوه ألم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾(سورة الأعراف).

قال الأستاذ سيد رحمه الله تعالى :

"صفة هذا الخلف الذي جاء بعد ذلك السلف من قوم موسى عليه السلام أنهم ورثوا الكتاب ودرسوه، ولكنهم لم يتكيفوا به ولم تتأثر به قلوبهم ولا سلوكهم، شأن العقيدة حين تتحول إلى ثقافة تدرس وعلم يحفظ، وكلما رأوا عرضا من أعراض الحياة الدنيا تهافتوا عليه ثم تأولوا وقالوا : سيغفر لنا..."(10)

وقال تعالى : ﴿وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب﴾(الشورى : 14).

والله تعالى يبين في كتابه العظيم أن الوراثة والتوريث بأمره ليس من ذلك شيء لأحد من الخلق، فهم ينتظرون مشيئته بتسليم واطمئنان، يقول تعالى قاصا قول نبيه موسى عليه السلام لبني إسرائيل : ﴿إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾(الأعراف : 128).

قال الأستاذ سيد رحمه الله تعالى :"إن الارض لله، وما فرعون وقومه إلا نزلاء فيها، والله يورثها من يشاء من عباده -وفق سنته وحكمته- فلا ينظر الداعون إلى رب العالمين إلى شيء من ظواهر الأمور التي تخيل للناظرين أن الطاغوت مكين في الأرض غير مزحزح عنها، فصاحب الأرض ومالكها هو الذي يقرر متى يطردهم منها"(11).

وقال تعالى : ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾(سورة الأنبياء) الذكر هو التوراة، والزبور كتاب نبي الله داود عليه السلام(12).

وهنا يتحدث الأستاذ سيد -رحمه الله تعالى- حديثا طويلا عن هذه الوراثة ومن يستحقها، وأختار من كلامه قوله :

"ما هي هذه الوراثة؟ ومن هم عباد الله الصالحون؟ لقد استخلف الله آدم في الأرض لعمارتها وإصلاحها، وتنميتها وتحويرها، واستخدام الكنوز والطاقات المرصودة فيها، واستغلال الثروات الظاهرة والمخبوءة والبلوغ بها إلى الكمال المقدر لها في علم الله، ولقد وضع الله للبشر منهجا متكاملا للعمل على وفقه في هذه الأرض... في هذا المنهج ليست عمارة الأرض واستغلال ثرواتها والانتفاع بطاقاتها هو وحده المقصود، ولكن المقصود هو هذا مع العناية بضمير الإنسان ليبلغ الإنسان كماله المقدَّر له في هذه الحياة.. وقد يغلب على الأرض جبارون وظلمة وطغاة، وقد يغلب عليها همج ومتبربرون وغزاة، وقد يغلب عليها كفار فجار يحسنون استغلال قوى الأرض وطاقاتها استغلالا ماديا، ولكن هذه ليست سوى تجارب الطريق، والوراثة الأخيرة هي للعباد الصالحين الذين يجمعون بين الإيمان والعمل الصالح.. وما على أصحاب الإيمان إلا أن يحققوا مدلول إيمانهم وهو العمل الصالح، والنهوض بتبعات الخلافة ليتحقق وعد الله وتجري سنته : ﴿أن الارض يرثها عبادي الصالحون﴾، فالمؤمنون العاملون هم العباد الصالحون"(13).

الصالحون والميراث

ولما سبق أقول : إن الصالح يحرص على أن يُورِّث ميراثا حسنا كما قال تعالى :﴿ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا﴾(فاطر : 32) فيرث الصلاح والخير والقرآن والدعوة إلى الله تعالى.

وهو كذلك يحرص على أن يورِّث العمل الصالح، فيدع أولادا صالحين، وأعمالا صالحة، وذلك كان مطلبا لنبي الله إبراهيم عليه أفضل الصلاة والتسليم حيث قال : ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾(سورة الشعراء).

أي اجعل الآخرين الذي يأتون من بعدي يثنون علي ثناء حسنا ويذكرونني ذكرا عاطرا، فأوتي ذلك عليه أفضل الصلاة والتسليم كما قال تعالى : ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾(سورة الصافات) ثم طلب الوراثة العظمى : ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾(سورة الشعراء) فأوتي ذلك عليه الصلاة والسلام، وليس أعظم من أن يترك العبد عملا صالحا يورثه لمن بعده من الأجيال، فيظل عطر ذكراه باقيا ما بقيت هذه الأرض، ويتردد صدى عمله في جنباتها يرشد العاملين ويهدي السائرين، والله الموفق.

التوريث في السنة الشريفة المطهرة

قد ورد عن النبي ﷺ جملة أحاديث يمكن أن يستنبط منها قواعد مهمة للتوريث، ويستنبط منها -أيضا- عنايته الكبيرة بأبي هو وأمي ﷺ بهذه القضية الخطيرة، فمن تلك القواعد :

1- تناقل العلم فيما بين الصحابة ومن بعدهم من أجيال المسلمين، أو من لم يحضر ما قاله ﷺ، فمن ذلك قوله ﷺ: «ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه»(14).

وفي معنى هذا الحديث وردت عدة أحاديث منها قوله ﷺ لوفد عبد القيس لما أرشدهم إلى بعض أمور دينهم : «احفظوه وأخبروه من وراءكم»(15).

فهذا التناقل المشار إليه هو نوع من التوريث.

ومن ذلك أيضا ما كان من حال معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث يحدثه النبي ﷺ بحديث فيكتمه -كما أمره النبي ﷺ- ثم يورثه لمن بعده عندما حانت منيته، فقد حدثه النبي ﷺ، وهو رديفه على الرَّحْل، قال : «يا معاذ بن جبل».

قال : لبيك يا رسول الله وسعديك.

قال : «يا معاذ».

قال : لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثا).

قال : «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار».

قال : يا رسول الله، أفلا أخبر الناس فيستبشروا؟

قال : «إذا يتكلوا" وأخبر بها معاذ عند موته تأثما"(16).

2- الاهتمام بنوعية التوريث وأنه ينبغي أن يكون في الأمور الجامعة المهمة للأمة :

ومثال ذلك قوله ﷺ في شأن وراثة الأنبياء : «إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»(17).

3- التشجيع على توريث العمل الصالح :

فهذا النبي الأعظم ﷺ يذكر في حديث له قضية يمكن أن تدرج ضمن التشجيع على التوريث، وهي قضية الأعمال الصالحة التي تتناقلها الأجيال بإعجاب ويكون أجرها للعامل الأول، فقد قال ﷺ : «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء»(18).

4- جملة من الأعمال الإدارية للدولة الإسلامية الأولى:

هناك عدد من الأعمال التي شرعها النبي ﷺ وهي مبينة لاهتمامه ﷺ بهذه القضية، فمن ذلك إقراره لمبدأ الشورى لإدارة شؤون الدولة، وكذلك إشارته الواضحة بتولية أبي بكر الصديق رضي الله عنه من بعده، ومبادئ الحرب التي كان يبينها لهم ﷺ، والعلاقات بين الدول، وإقامة الحدود لحفظ الأمن والنفوس، وغير ذلك من القضايا الكثيرة التي سقت أمثلة لها فقط، وإلا فالدين كله توريث على الحقيقة، فكيفية الصلاة والزكاة والحج والصوم والمواريث وغير ذلك هي أنواع من التوريث، لكني إنما ذكرت هاهنا ما نص عليه النبي ﷺ أنه توريث أو أشار إليه إشارة واضحة.

-يتبع-

عشرات من المؤلفين يكتبون في موضوع واحد مكرر مطروق، والذي يفترض هو أن يُنظر فيما هو معروض في الأسواق ويُقوم فإن أغنى فهذا هو المطلوب، وإن لم يُغن فيؤلف بالقدر الذي يحتاج إليه الناس، وبهذا يكمل المؤلفون في تأليفهم بعضهم بعضا، ويورث السابق للاحق المادة المهمة التي يبني عليها اللاحق تأليفه، لكنا لا نجد هذا أبدا إلا في القليل النادر.

1- سيأتي التفصيل في الحلقات القادمة بحول الله.
2- سأبين إن شاء الله تعالى في ثنايا الحلقات القادمة طرقا للاستفادة من تلك الفئة المهمة من المجتمع.
3- "معجم متن اللغة" : ورث.
4- قرابة من ثلاث وثلاثين مرة.
5- أي : ميراثه.
6- العصبة من قومه
7- "الظلال" : 2302/4
8- الشيخ الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي القرشي الدمشقي. توفين سنة 774 رحمه الله تعالى : انظر ترجمته في "الدرر الكامنة" : 399/1-400
9- "تفسير القرآن العظيم" : 207/5
10- "الظلال" : 1387/3
11- "الظلال" : 1355/3
12- هناك أقوال غير هذه انظرها في "تفسير القرآن العظيم" : 379/5- 380.
13- "الظلال" : 2400/4، وقد ذكر الإمام ابن كثير قولا عن السلف أن المراد بالأرض الجنة : انظر "تفسير القرآن العظيم" : 380/5، وكلا القولين محتمل وله وجه، والله أعلم.
14- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب العلم : باب قول النبي ﷺ : "رب مبلغ أوعى من سامع".
15- المصدر السابق : باب تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم.
16- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه : كتاب العلم : باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا.
17- أخرجه الإمام أبو داود والترمذي في كتاب العلم، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده كلهم عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وفي الحديث كلام طويل ألخصه بسوق كلام الأستاذ الشيخ البنا إذ قال : "قال المنذري" : ومن هذا الطريق رواه أبو داود وابن ماجة وابن حبان في صحيحه، والبيهقي في "الشعب" وغيرهما.. وروى الحديث أيضا الحاكم في "المستدرك: بإسناد حسن، والنسائي وابو يعلى، والطبراني في الكبير، وصحيح البخاري بعض طرقه..." أنظر "الفتح الرباني" : 150/1.
18- الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه : كتاب العلم : باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى وضلالة.

مواقف وأحوال

مَلَكٌ يُحج عن ابن المبارك!!

جرت العادة أن أكتب تقديما للحالة التي سأذكرها. وتوطئة للموقف الذي سأقدمه بين يديك أيها القارئ الكريم. لكني رأيت ا ليوم ألا أتأخر عنك في إيراد هذا الموقف، وإبراز هذه الحالة من أحوال عبد الله بن المبارك رحمه الله، تاركا لك أنت أن تضع التوطئة، وتكتب التعقيب، بأفعالك لا بأقوالك، فأقول :

ذكر عياض رحمه الله في ترتيب المدارك قال :

روي أن عبد الله بن المبارك دخل الكوفة وهو يريد الحج، فإذا بامرأة جالسة على مزبلة وهي تنتف بطة، فوقع في نفسه أنها ميتة، فوقف على بغله فقال لها : يا هذه، هذه البطة ميتة أو مذبوحة؟ قالت : ميتة، قال : فلم تنتفينها قالت : لآكلها أنا وعيالي. فقال لها : يا هذه إن الله تعالى قد حرم عليك الميتة، وأنت في بلد مثل هذا.

قالت : يا هذا، انصرف عني.

فلم يزل يراجعها الكلام وتراجعه إلى أن قال لها : وأين تنزلين من الكوفة؟ قالت : في قبيلة بني فلان، ثم قال لها: وبأي شيء تعرف داركم؟ قالت : ببني فلان.

فانصرف عنها وصار إلى الخان، ثم سأل عن القبيلة فدلوه عليها، فقال لرجل : لك علي درهم. وتعال معي إلى الموضع. فمضى حتى انتهى إلى القبيلة التي ذكرت المرأة، فقال للرجل : انصرف، ثم دنا إلى الباب فقرع الباب بمقرعة كانت معه، فقالت العجوز: من هذا؟ فقال لها: افتحي الباب، ففتحت بعضه، فقال : افتحيه كله، ثم نزل على البغل، ثم ضربه بالمقرعة، فدخل البغل إلى الدار، ثم قال للمرأة : هذا البغل وما عليه من النفقة والكسوة والزاد هو لكم، وأنتم منه في حل في الدنيا والآخرة.

ثم جلس ابن المبارك مختفيا حتى رجع الناس من الحج، فجاءه قوم من أهل بلده يسلمون عليه ويهنئونه بالحج، فأقبل يقول لهم : إنه كانت بي علة ولم أحج هذه السنة. فقال بعضهم : يا سبحان الله، ألم أودعك نفقتي ونحن بمنى، ونحن نذهب إلى عرفات، وآخر ألم تشتر لي كذا، فأقبل يقول : لا أدري ما تقولون، أما أنا فلم أحج هذا العام. فرأى في الليل قائلا يقول له : يا عبد الله أبشر فإن الله قد قبل صدقتك وبعث ملكا على صورتك فحج عنك.(1)

هذه هي القصة، فتأمل وتدبر

1- ترتيب المدارك للقاضي عياض 43/3

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

أخطار في طريق الشباب 3/3

في بعض سبل العلاج لهذه الأخطار:

ذ. محمد بوهو

إن المسؤولية عامة، فكلنا راع، وكلنا مسؤول عن رعيته، وفي هذا الصدد يتعين علينا جميعا، العمل بصبر وإخلاص على محاربة هذه الظواهر الشبابية، والحرص على محاصرتها ابتداء من أسرنا وأبنائنا، ثم الأقرب فالأقرب..

والأسرةُ هي المحضن الأبرز لإعداد الشباب وبناء الشخصية، ومنها يصدُر الخيرُ أو الشرّ، ومنها ينجُم الانحرافُ أو الصلاح.

تفقد الأسرةُ دورَها وتضيِّع رسالتها إذا انصرفَ الآباءُ عن أُسَرهم وكان همُّهم الأكبر توفيرَ مادّة الكسب مع ترك الحبلِ على الغارب للأولاد والتقصيرِ في تربيتهم وعدم تخصيص وقتٍ لهم يمارسون فيه التوجيه والرعاية. يختزل كثيرٌ من الآباء علاقتَه بأبنائه ومسؤوليّته في أسرته في حساباتٍ ماديّة لا تتجاوز حاجات الأولاد من أكلٍ وشُرب وكسوةٍ وترفيه، أما تربيةُ الأخلاق وتهذيبُ السلوك وبناءُ الشخصية فحظُّها أنها في ذيل قائمة المسؤوليات..

ولا يشكُّ عاقلٌ أنّ الآباءَ حين يمارسون التربيةَ الصحيحةَ ويجعلونها أولى المهمّات في حياتهم يوفّرون المناعةَ الكافيةَ ضدَّ الانحراف والوقايةَ من المصير الأليم، ويُسهمون في أمن المجتمع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم:6)، وقال ﷺ : «والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيتها»(أخرجه البخاري)

الأسرةُ في الإسلام مسؤولةٌ عن حماية الشباب من الانحراف، ويتحمّل الوالدانِ النصيبَ الأوفرَ من جريرة الغلوّ في الدين أو التطرُّف في الخُلُق لقوله ﷺ :«كلّ مولودٍ يولَدُ على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه))..

قد يُهيِّئ جوُّ الأسرة الملبَّد بالغيوم الانحرافَ.. فالبيت الذي تعلو فيه أصوات النزاع وتحتدمُ في جنباته مظاهرُ الخُصومة والشقاق ليس مهيَّأً للتربية واستقرارِ النفوس، بل قد يهرب منسوبُو البيت من هذا الجوّ الملبَّد إلى مَن يُؤويهم، وقد يحتضنهم رفقاءُ سوءٍ وقُرَناء شرّ، وقد تُسهِّل له الطّرق ليصبحَ مجرمًا محترفًا، كيف لا وقد فَقَد الرعايةَ والنصحَ والتوجيهَ من أبويه، غاب عنه من يدلُّه على طريق الهدى والنّور..

والطلاق ظاهرةٌ اجتماعيّة خطيرة، تهدم كيانَ المجتمعات ومن الأسباب الرئيسة في انحراف الأولاد، خاصةً إذا اقترن بضَعف الوازع الدينيّ، وكلُّ خلاف يخلّف خسائرَ واضحةً وآثارًا عميقة، بل هو طعنٌ في قلب المجتَمَع ونزيفٌ في جسده..إنّ الولد الذي يهربُ من جحيم الطّلاق قد لا يجد من ينصَح أو يردع، ولأقران السوء تزيينٌ ولأهل الفساد شباك. والمجتمع مطالبٌ - خاصةً أولو الأحلام والنُّهى - بتحجيم هذه الظاهرة المؤلمة وتحصينِ المجتمع من آثارها المدمِّرة.

ومن أسباب الانحراف وقوعُ بعضِ الأُسَر فريسةَ الفَقر، فيلجأُ بعضُ الأولاد إلى مغادَرَة البيت بحثًا عن أسباب الرّزق، ولجهلهم وقصورِ إدراكهم قد تتلقّفهم أيدي الشّرّ وقرناء السوء، فيسلكون بهم سُبُل الانحراف، وقد كان النبيّ ﷺ يستعيذ من الفَقر فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر».. وللوقاية من مشكلة الفقر وآثارها فرضَ الإسلام الزكاةَ وحثَّ على الصدقة، أحيى معانيَ التكافل الاجتماعيّ، دعا إلى تفقُّد الأيتام والفقراء والمساكين، ورتّب على ذلك أجرًا عظيمًا بقوله: «أنا وكافلُ اليتيم في الجنّة هكذا» وأشار ﷺ بالسبابة والوسطى..

من الواجب أن نشجع المبادرات الفردية والجماعية في بلادنا والمتجهة في هذا المنحى النبيل، فما دامت تهدف إلى المصلحة العامة، فنحن نشد على أيديها ونقوي عضدها.. كما نوصي في الختام بضرورة ايجاد البرامج التربوية الكفيلة ببناء شخصية سوية للفرد سواء داخل الأسرة او خارجها ومن ذلك تطوير البرامج التعليمية لتتوافق وتطلعات الشباب حتى يقبلوا عليها. كذلك إعداد المربين من معلمين وأساتذة إعدادًا تربويًا ليكونوا قدوة حسنة للشباب إذ أن المعلم هو الذي يتربى على يديه الشباب منذ نعومة أظفارهم وهو الذي يصوغ التوجهات لديهم منذ طفولتهم الأولى فبصلاحه يصلح من يتربى تحت يديه والعكس صحيح.

بالإضافة إلى ضرورة بث الروح الإيمانية بين الشباب من خلال مراكز توعية دينية متخصصة كحلقات تحفيظ القران الكريم التي ينبغي العناية بها وملؤها بالبرامج التي تجذب الشباب إليها.

كذلك ينبغي شغل وقت الفراغ لدى الشباب واستثماره بما يعود بالنفع لهم ولمجتمعهم وذلك بإنشاء المراكز المتخصصة التي يُروِّحُ فيها الشباب عن أنفسهم ويقضون فيها أوقاتًا مفيدة من النواحي العلمية والثقافية والمهنية والبدنية. ومن الواجب على القائمين على تربية الشباب توجيههم لاختيارالرفقة الصالحة حتى لا يقعوا فريسة لرفقة السوء. وذلك لما للرفقة من أثر بارز في سلوك الفرد.

كذلك يتحتم علينا الاهتمام والعناية بوسائل الإعلام المختلفة باعتبارها عنصرًا هامًا من العناصرالتي يستقي منها الشباب توجهاتهم ويرسم لهم مفاهيمهم ويبث القيم بينهم.

والمدرسةُ هي المحضن الثاني بعد الأسرة، ووظيفتُها ذاتُ تأثيرٍ عميق في إصلاح الشباب أو انحرافهم، تحملُ معولَ الهدم أو معولَ البناء، وأسُّ المدرسة وأساسُها مناهجُ التربية والتعليم، ولا ينكر عاقلٌ أن المرحلةَ تتطلَّب خاصةً مع تقارُب أطراف العالم وشيوع الأفكار الضالّة والشهوات العارمة، يتطلَّب الأمرُ تكثيفَ المناهجِ الشرعية لتكونَ حصانةً لقلب الشباب وحمايةً لفكرهم من غُلوٍّ مَقيت أو فسوقٍ مُميت..

إنّ الدِّينَ أعظم حصانة للشّباب من كلِّ انحراف، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾(الإسراء:9) وقراءةُ التاريخ تُجلِّي أنّ ظهورَ الفرَق وبروز الانحراف وشيوعَ الجريمة لم تنَل حظَّها في المجتمعات ولم تفعَل فعلَها في القلوب والعقول إلاّ على فترة من الدّعوة واندراسٍ من الشريعة، ولا أخالُ منصفًا يُنكر هذا. ففي غياب الدينِ الصحيح والإيمان القويم والمنهَج الوسَط يكون الشبابُ معرَّضًا للانحراف، قد يقَع فريسةَ الإجرام أو الإرهاب أو التطرّف أو الارتماء في أحضانِ الأعداء أو الوقوع في مصائد المنحَرفين أو يسيطر عليه الضّياع حتى يُصبحَ كالسِّمِّ في جسَد الأمّة والمعوَل في كيانها، يُحطِّم مستقبلَها ومُستقبَله، ويهدم كيانَها وكيانَه.

والمعلِّم أو المدرس محورُ التربية والتعليم، وبه نقاوم الانحرافَ ونحصِّن الشباب، إذا كان مستقيمًا في سلوكه، صالحًا في خُلُقه، قويًا في إيمانه، متقنًا لعمله، يحمل همَّ أمته ومجتمَعه، وتلك أهمّ سماتَ المعلِّم في المجتمع المسلم، فرسالته تغذيةُ الإيمان، وتوطيدُ الوازعَ الخُلقي، وإحياءُ رَقابة الله في نفوس النشء.

والرُّفقةُ الصالحة لها أثرٌ في اكتساب القيمَ والسلوك كذلك، قال النبي ﷺ :«المرءُ على دين خليله، فلينظر أحدُكم من يُخالل»..

وقد يوقع القرينُ السيّئ في المهلكات، أمّا القرين الصالح فسببٌ من أسباب الاستقامة والفضيلة.

إن قضيتنا هذه مسؤولية الجميع، فعلى الأب أن يربي أولاده وينشئهم على معالي الأمور، وعلى المدرسة ومعلّميها وإدارتها أن تستكمل العملية التربوية بالمحافظة على ما تعلّمه الشاب من الخير وتزويده بما ينفعه، وعلى الدعاة والناصحين الحرص على تقويم الاعوجاج بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر على الأذى وتحمّل ما قد يظهر من سوء تعامل، وعلى المسؤول المكلّف القيام بمهامّه وأداء وظيفته في تعديل الخطأ ومنع وقوع الجريمة بحكم ما لديه من ولاية وسلطة فُوّضت إليه من ولاة الأمور، وقد قال عثمان رضي الله عنه : «إن الله ليَزَعُ بالسلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن»، أي: إنّ لذوي السلطة من الأثر في منع التعدي على الحرمات والردع لمن يتجاوزها ما قد يفوق أثر القرآن الكريم، فالناس مختلفو الأهواء والمشارب، ولكلٍّ حاجات وشهوات، منهم من يصدّه الخوف من الله عن الوقوع في المحظور، وتمنعه قوارع الكتاب والسنة عن مقارفة الحرام، ومنهم من لا يصده إلا سطوة حاكم وقوة مسؤول، ولو تُرك الناس لشهواتهم دون حسيب أو رقيب لَرتع الكثيرون.. ولذا جاء الشرع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووضح القرآن أثر ذلك في صلاح الأمم والمجتمعات، وإنه لا غنى لأي مجتمع عن القيام بهذه الشعيرة العظيمة: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(آل عمران:104)، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(المائدة:2)، وبيّن الله سبحانه أن خيرية هذه الأمة منوطة بالقيام بهذه الشعيرة فقال:(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(آل عمران:110) ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾(هود:117). ومتى قام الجميع بواجبهم وتمكّن التعاون على البرّ والتقوى في نفوس الجميع واستشعر كل واحد دوره المنوط به بإتقان فإن العاقبة حميدة بإذن الله تعالى.

عبرة

وأنا أقرأ كتاب (انهيار الرأسمالية) لمؤلفه أولريش شيفر، استوقفني قوله عن الغرب : «إنهم يمنون أنفسهم بالتحول إلى نظام آخر، وإن كانوا غير قادرين على رسم صورة دقيقة للنظام الذي ينشدونه، إنهم يحلمون بانتهاج طريق ثالثة تقع بين الرأسمالية والاشتراكية طريق تضمن لهم حريتهم وتحقق في الوقت ذاته مساواة أكبر وأمانا واستقرارا أكثر»(1)، فصحت هو والله الإسلام لاريب، هو الطريق الوحيد للخلاص، هو سفينة النجاة، هو شاطئ الأمان.

عجبا لك أيها الإنسان تضع لكل ما أبدعته من الصناعات دليل استعمال، وتنكر أن يجعل لك الله عز وجل دليل استعمال وأنت صنْعَتُهُ!! دليل استعمالك هو الوحي، ومتى أهملت الدليل ضللت، قال الله عز وجل : ﴿ومن اعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾(طه : 122).

الوحي وحده هو الضامن لحرية الإنسان، وأمنه النفسي والمادي.

الوحي وحده هو الكفيل بالإجابة عن كل الأسئلة المعلقة التي حيرت الإنسان ومازال يبحث لها عن إجابات دون جدوى.

الوحي وحده هو الزعيم بتحقيق الرخاء الاقتصادي والتماسك الاجتماعي.

الوحي هو حبل الله الممدود إلى البشر، كما يُمَدُّ الحبل إلى الغريق ليُسْتَنْقَذَ من يمِّ الضياع والضلال.

الوحي هو نداء الرحمان إلى كل الناس أن : هلموا إلي، هرولوا إلي، أنا سر السعادة، وباب الفلاح، وموطن الأفراح، بي تطيب الحياة ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾(الأنفال : 24).

فمتى سيستجيب الإنسان ويلقي السمع، عسى أن يبدأ رحلة العودة نحو النور؟ أرجو أن يكون ذلك قريبا...

1- سلسلة عالم المعرفة ع 371 ص 22.

ذ. منير مغراوي

بين الحرص والغفلة

يقول أحد الدعاة : حدثني رجل أنه مر بغرفة مريض مشلول لا يتحرك منه شيء أبداً، فإذا المريض يصيح بالمارين.. فدخلت عليه فرأيت أمامه لوح خشب عليه مصحف مفتوح.. وهذا المريض منذ ساعات كلما انتهى من قراءة الصفحتين أعادهما.. فإذا فرغ منهما أعادهما؛ لأنه لا يستطيع أن يتحرك ليقلب الصفحة ولم يجد أحداً يساعده.

فلما وقفتُ أمامه قال لي : لو سمحت.. اقلب الصفحة.. فقلبتها.. فتهلل وجهه.. ثم وجه نظره إلى المصحف وأخذ يقرأ، فانفجرتُ باكياً بين يديه.. متعجباً من حرصه وغفلتنا!.

الشباب المسلم : الرسالة والوظيفة، التحديات وسبل العلاج 3/3

د. محمد الأنصاري الفيلالي

بعدما تحدثنا في الحلقتين الأولى والثانية عن أهمية الشباب وعناية الإسلام به وعن رسالة الشباب العظيمة ووظيفته الكبيرة في الحياة والمجتمع وتحدثنا عن التحديات التي تواجهه نختم اليوم بالحديث عن سبل العلاج ووسائل مواجهة هذه التحديات.

سبل العلاج ووسائل مواجهة هذه التحديات :

على المستوى المنهجي يمكننا تقسيم سبل علاج التحديات التي تواجه الشباب المسلم اليوم إلى محورين هما:

المحور الأول : سبل ذاتية خاصة بالشباب:

والمراد بها السبل الخاصة بكل شاب وشابة على حدة، وتشمل العناصر التالية:

أ- الشعور الحقيقي بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، وأن هذه المسؤولية فردانية وخاصة يوم القيامة ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة﴾(المدثر : 38).

ب- اغتنام مرحلة الشباب لما لها من مميزات في الطاعة والعبادة والتشبث بأحكام الدين والتخلق بأخلاقه ومكارم شريعته، وفي التفقه والتعلم، فالالتزام بالإسلام لا يتم إلا بالعلم، وعبادة الله لا تكون إلا بالعلم، وأقل ذلك ما يعلم من الدين بالضرورة . وكذلك الاشتغال بالأمور النافعة، كالرياضة القاصدة الهادفة، وحضور الأنشطة العلمية والثقافية الجادة، والأعمال الترفيهية المباحة، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال : «اغتنم خمسا قبل خمس: -وفيها- شبابك قبل هرمك، وحياتك قبل موتك...».

ج- التوبة النصوح من الأعمال المحظورة والأخلاق الضارة.

د- العزم الجاد والإخلاص في العودة إلى الله والتمسك بدينه.

هـ- استغلال المناسبات والأوقات الدينية التي تنمي الإيمان والفكر، وتربي النفس وتهذبها، وتربط الشباب بربهم، كالصيام والصلاة الجماعية، وصلاة الجمعة، وقيام الليل وصلاة النافلة والذكر المسنون وقراءة القرآن وتدبره ومدارسته في المجالس القرآنية المخصصة لهذا الغرض.

و- الصحبة الحسنة، "الصديق قبل الطريق" و" الجار قبل الدار".

ز- الاهتمام بالأولويات الكبرى والواجبات الوقتية، كالدراسة والترقي في مدارج العلم وغير ذلك مما يدخل في ذلك.

ح -وفي الأخير، أن يدرك الشباب المسلم أن لهم رسالة ووظيفة في الحياة، تجاه الذات والأسرة و المجتمع و الدولة والأمة . وأداء تلك الرسالة لا يكون على أحسن ما يرام إلا إذا كان الشاب عضوا صالحا مصلحا قويا فاعلا مؤثراً، مستغلا لوقته منظما لأموره الخاصة والعامة، صادقا في ذلك مخلصا لله تعالى فيه.

المحور الثاني : سبل تتعلق بالجهات المسؤولة على الشباب :

من أهم سبل العلاج التي ينبغي الأخذ بها وتفعيلها السبل التالية :

1- دور الأسرة في رعاية الشباب وتربيته وحمايته :

ويلخص هذا الدور فيما يلي :

أ- توجيهه وتأطيره وتربيته (برنامج أسري).

ب- مراقبته ومتابعته ومحاسبته بالتي هي أحسن.

ج- مناقشة أموره وقضاياه، والتشاور معه في حلها وعدم إهمال رأيه.

د- تكليفه ببعض المسؤوليات المنزلية لتدريبه وتأهيله.

هـ- إعطاؤه القدوة الحسنة في كل شيء في العلم والعبادة والأخلاق والمعاملة.

2- دور المجتمع:

ويتجلى فيما يلي:

أ- يمثل المجتمع البيئة الواسعة التي تظهر فيها القيم والأخلاق والمبادئ والسلوكيات، فالإنسان اجتماعي بطبعه، فالضمير الجماعي له دوره في التربية والتوجيه، فإذا كانت أخلاق وسلوكيات المجتمع حسنة أثرت تلقائيا في الشباب لأن المجتمع قدوة حسنة، لذا قال ﷺ :«البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس».

وعلى هذا الأساس فالمجتمع يؤثر بثقافته، وأخلاقه وعاداته وغيرها سلبا أو إيجابا.

3- دور الدولة وواجباتها نحو الشباب:

وتتلخص فيما يلي:

أ- تأهيل مؤسسات التربية والتعليم للقيام برسالتها التربوية. فالمدرسة والجامعة والمعهد وغيرها من مؤسسات التعليم لها دور كبير في إعداد جيل الشباب وتربيته.

وهذا يقتضي أن تكون:

× مناهج التربية والتعليم قويمة وسديدة تجمع بين الأصالة والمعاصرة النافعة.

× أن تهتدي بمنهج الوحي في التربية والتعليم.

× أن تكون هادفة وبناءة لتخرج الشاب المؤمن القوي علما وعملا ..

ب- تأهيل مؤسسات الإعلام الرسمية وغيرها، مقروءة ومسموعة ومرئية للقيام برسالتها في التربية والتوجيه والتثقيف.

ج- إيجاد محاضن نظيفة يأوي إليها الشباب لاستغلال أوقات فراغه فيها، كدور الشباب الجادة والمكتبات المتنوعة والمتخصصة والنوادي الرياضية والثقافية وجمعيات البر والخدمات العامة.

د-إيجاد الأطر والقادة والمسؤولين القدوة والأكفاء في كل مؤسسات الدولة وإدارتها بدءاً بمؤسسات التربية والتعليم، فالمعلم والأستاذ والمدير يجب أن يكونوا جميعا قدوة حسنة للشباب، ويجب أن يكونوا أكفاء حتى يؤدوا واجبهم على أحسن ما يرام وهكذا في كل دوائر الدولة ومؤسساتها.

إشراقة

شر الرعاء الحطمة

ذ. عبد الحميد صادوق

عن عائذ بن عمرو ﷺ أنه دخل على عبيد الله بن زياد، فقال له : أي بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن شر الرعاء الحطمة" فإياك أن تكون منهم»(متفق عليه).

وهذا الوصف ينطبق على الحاكم الجهنمي الذي يسبق سيفُهُ لسانَه، ويبطش برعيته حتى يبعث في نفوسهم الرعب من ظلمه وجوره. يقول النووي ﷺ قوله : «إن شر الرعاء الحطمة» قالوا هو العنيف في رعيته لا يرفق بها في سوقها ومرعاها بل يحطمها في ذلك، وفي سوقها وغيره ويزحم بعضها ببعض بحيث يؤذيها ويحطمها. وإذا كان الأمر كذلك فالجزاء من جنس العمل، عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا : «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به»(رواه مسلم)

قال النووي ﷺ : هذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس، وأعظم الحث على الرفق بهم.

ومن أعظم ما يلحق المشقة بالرعية المسؤول دون قضاء حوائجهم، وتهاونه في وظيفته حتى تتعطل مصالحهم وحينها يتدمر الناس من سياسته فتنزع الثقة بين الحاكم ورعيته، فتتعرض الأوضاع للزعزعة والاضطراب، ولهذا وعظ أبو مريم الأزدي ﷺ معاوية ﷺ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم، احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة" فجعل معاوية رجلا على حوائج الناس»(رواه أبو داود والترمذي)

ثم بين النبي ﷺ سبب كونهم من الحطمة وهو أنهم يتنافسون عن السلطة، ويزدحمون على الحكم، ومن كان حاله هكذا فإنه يضحي بكل شيء دون دنياه ومشتهاه، وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون بعدي خلفاء فيكثرون» قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال : «أوفوا ببيعة الأول، ثم أعطوهم حقهم، واسألوا الله الذي لكم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»(متفق عليه)

فلما أخبرهم النبي ﷺ بوقوع الازدحام على السلطة وكثرة الخلفاء قالوا : فما تأمرنا فقال ﷺ أوفوا بيعة الأول أي الذي انعقد له الحكم وهو المتغلب فطاعته واجبة. ثم بين النبي ﷺ ولاية أخرى يتقلد فيها العبد مسؤولية الإمامة العظمى. فقال ﷺ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» : الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته" (متفق عليه)

قوله ﷺ: «كلكم راع». الراعي في المصطلح الشرعي هو الحاكم، أي كلكم تتحملون رعاية الشريعة في بيوتكم، لأن البيت هو المكان الذي يجد فيه الإنسان الحرية المطلقة ومن تم فهو مطالب بتربية أبنائه وفق شرع الله داخل بيته. ولهذا قال وكلكم مسؤول عن رعيته" لأن الزوجة والأولاد رعية يسأل عنها الراعي داخل البيت، ومن ثم قال ﷺ : «والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته».

من فضائل الأعمال

قال رسول الله ﷺ : «أثقل شيء في ميزان المؤمن خلق حسن، إن الله يبغض الفاحش المتفحش البذيء»(صححه الألباني).

وقال ﷺ :«أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعكتف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضاً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»(حسنه الألباني)

قسيمة الاشتراك

الإسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

■ داخل المغرب : 60 درهما.

■ خارج المغرب : 20 أورو أو مايعادلها.

ترسل الإشتراكات باسم :

■ جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.

■ أو **جريدة المحجة** على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم : **2111113412900014**

■ أو الأستاذ **المفضل فلواتي** على الحساب البريدي رقم : **P 11329 الرباط**.

أما قسيمة الإشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي : **جريدة المحجة (قسم الاشتراك) : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات - فاس - المغرب**

مستقبل العرب بين الغرب والصين

أكد طلال أبو غزالة أن على العرب معرفة أن مستقبل العرب مع الصين، وأن أوروبا وأميركا لم تعد أسواقا مشجعة. وأضاف رئيس الائتلاف العالمي لتقنية المعلومات والاتصالات والتنمية، التابع للأمم المتحدة، أن الائتلاف الذي يعمل تحت إشراف الأمين العام للأمم المتحدة يعمل على إصدار بيان حول حقوق الإنسان في استخدام الإنترنت عالي السرعات، لجعله وسيلة اتصال أساسية في كل أنحاء العالم، ولا يقتصر على العالم المتقدم.

وأضاف في مقابلة مع «الشرق الأوسط»، أن المشروع في مراحله النهائية، حيث سيقدم إلى القمة العالمية المزمع عقدها خلال شهر سبتمبر (أيلول) المقبل، مشيرا إلى أن «مجموعة طلال أبو غزالة» تناقش أيضا توسيع نشاطها في مجال مجتمعات ومراكز المعرفة في الكثير من دول المنطقة التي يرى أنها تشهد معدلات نمو وزيادة في استخدام الإنترنت مبشرة وإيجابية، وتزيد بنحو 4 أضعاف على المعدل العالمي للفترة من عام 2000 إلى 2008.

وذكر أنه عرض هذا المشروع على مسؤولين كبار في المملكة العربية السعودية واتحاد دول مجلس التعاون الخليجي ولقي استحسانا وقبولاً وتشجيعا وأنه سيجري الترتيب لتنفيذه من قبل الأمم المتحدة ورعايته وتمويله وبإدارة من الدكتور أبي غزالة، وأن مشروعه هذا سيعرض على الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون لعرضه على الخبراء العالميين، وفيما يلي نص الحوار :

ذ. طلال أبو غزالة

ولد في يافا في فلسطين في 22 أبريل 1938وهو المؤسس والرئيس لمجموعة طلال أبو غزاله الدولية، أكبر مجموعة شركات عربية تقدم الخدمات المهنية في مجالات المحاسبة والاستشارات الإدارية ونقل التكنولوجيا والتدريب والتعليم والملكية الفكرية والخدمات القانونية وتقنية المعلومات والتوظيف والترجمة والنشر والتوزيع. وبالإضافة إلى منحه لقب قائد المحاسبة العربية، تم أيضًا الاعتراف بفضله في الترويج لأهمية الملكية الفكرية في المنطقة العربية.

● أود أن أسال عن وضع الاقتصاد العربي في ظل الأزمة العالمية..

– هذا موضوع مهم جدا، ويشغل فكري كمواطن عربي. بداية، اتخذ العالم قرارا بأن يخرج موضوع الاقتصاد العالمي من الأمم المتحدة إلى مجموعة العشرين، ليكون المظلة التي يعمل عليها قادة العالم لمواجهة الأزمة المالية التي بدأت عام 2008 ووصلت ذروتها في عام 2009. وتشكيل مجموعة العشرين مصطنع، لأنه لا يمثل دول العالم بشكل صحيح، وجاء بطريقة اختيارية تناسب من تسبب في الأزمة العالمية، مثل أميركا والمجتمع الغربي.

وفي رأيي، فإن هذا مجرد إخراج إعلامي، لأنك إذا راجعت قراراتها منذ بداية اجتماعاتها إلى آخرها فسوف تجدها توصيات تخرج بقرار ضخ المال إلى البنك الدولي وصندوق النقد، وهي إسهامات الدول الأكثر حظا، وعدا ذلك يبقى في محيط الأمنيات. وبالنظر إلى معايير المحاسبة الدولية، التي هي أحد أسباب الأزمة، وأنا كشخص خدم في مجالس إدارة المنظمات الدولية والمحاسبية من الاتحاد الدولي إلى لجنة معايير المحاسبة إلى كل ما تريده من منظمات دولية، فأنا أعرف كيف تتم عملية إعادة صياغة المعايير، وأعرف أن هذا يحتاج إلى 3 سنوات على الأقل إذا بَدَأتْ بشكل جدي، فكيف لم يكن هنالك قرار حتى الآن؟ والمجتمع الدولي لا يناسبه إعادة صياغة المعايير، لأنها ستكشف مساوئ وعجز الكثير من المؤسسات التي تُعفي نفسها من المعايير الحالية ومنها معيار ما يسمى بالقيمة العادلة ومن الذي سيحدد القيمة العادلة، لأن العدل نسبي وهذا واحد من أكثر من 100 عيب في المعايير الدولية. لذلك أقول: أخرج العالم مشروع قمة العشرين لأغراض إعلامية، ليقال إن هناك هيئة تعمل على إصلاح النظام لأن إصلاح النظام المالي العالمي هو المشكلة. سوء النظام المالي العالمي يتمثل في أسوأ أوضاعه في الولايات المتحدة الأميركية، لأنه ليس هناك نظام مالي للرقابة. وعندما نسمع عن انتعاش الاقتصاد العالمي، فهنالك تشوه للمعاني، فالأزمة أولا بدأت أزمة مالية وليست أزمة اقتصادية. ونحن اليوم أمام مشكلة عضوية، وليس عرضية، يجب أن يتغير النظام المالي الأميركي ليصبح مثل نظامنا، فيه بنك مركزي، لذلك نحن في مأمن من هذه الأزمة إلى حد كبير، لأن نظامنا لم يسمع بهذا التداول، وإذا كان هناك أي خسارة تكبدناها لتداولنا فيها هناك وليس هنا.

الآن الأزمة المالية بدأت من 2009، وتحولت إلى أزمة اقتصادية، وهذا توقعته من البداية، تتمثل في مؤشرات اقتصادية مثل الفقر والدين الخارجي والبطالة والعجز المالي وغيره. نحن أمام بداية أزمة اقتصادية في العالم الغربي، ويجب أن نخرج من مفهومنا السابق. **وكان صحيحا في وقتها أنه «إذا عطست أميركا، فسوف يصاب العالم بإنفلونزا»، وهذا غير صحيح الآن، وأصبح الأمر معكوسا عندما يقول أوباما بأن انتعاش أميركا يعتمد على ازدهار الصين يعني عكس النظرية السابقة.**

وكيف تحققت أمنية جورج بوش الابن بأن الصين الآن حققت نسبة نمو باقتصادها بنسبة 12,5 في المائة، وأنا أقول 15 في المائة.. ما أعلنوه هو 12,5 في المائة، ولكن رقم النمو الحقيقي إذا حسبته بالمعايير الأميركية هو 15 في المائة. وهذا يدل أن العالم الأميركي متغير، وكل معاييره متغيرة.

والعرب الآن في مرحلة التموضع، ونعيد تموضعنا بعد الصدمة التي حدثت، والتي كان أثرها علينا مخفيا، ونعيده بأقل الأضرار، لأننا لسنا شركاء حقيقيين للغرب، لأنه ينظر إلينا كأسواق، وليس شركاء حقيقيين، وأوروبا من تضرر بسبب هذه الأزمة، لأن هناك ترابطا اقتصاديا يمثل 70 في المائة من استثمارات أوروبا في أميركا، و70 في المائة من استثمارات أميركا في أوروبا. وبالنسبة إلى الصين، فهي لم تتضرر لأسباب كثيرة، ومنها حكمة 7000 سنة من الحضارة، ولأنهم رفضوا أن تصبح عملتهم عالمية، ورفضوا أن تسعر بالدولار. كما أن اقتصاد الصين مكتمل داخليا، وليست معتمدة على السوق المالية العالمية، لأنها لم تكن جزءا من الاقتصاد العالمي، ويزيد استثمارها الرئيسي على تريليوني دولار، إضافة إلى استثماراتها الأخرى في مشاريع صناعية، وفيما يخص اقتصاد الصين فلديها حماية كبيرة كونها سوقا ضخمة لمنتجاتها وما يفيض عن احتياج العالم.

● ما أثر التنافسية على مستقبل الشركات الصناعية والخدمية في الفترة المقبلة؟

– هناك دول في أوروبا ستواجه مشكلة صعبة جدا، مثل اليونان والبرتغال. بدلا من توجه الاتحاد الأوروبي إلى المزيد من التواصل، الآن سينتقل إلى الانحلال، لأن دولة مثل ألمانيا غير مستعدة لأن تفلس كي تنقذ دول أوروبا الأخرى، لأنه في فترة الصعوبات يبدأ كل شخص يحمي نفسه. وفي 2011، سنسمع الكثير عن التغيير، وسيضطر كثير من قادة أوروبا والغرب عموما إلى مواجهة الشعوب. بصراحة أننا أمام أزمة اقتصادية حقيقية، ومن أحد أسباب هذه الأزمة التشابك الاقتصادي في كل مكوناته، ومنها أن الدولار الأميركي هو عملة الأساس والقياس، إضافة إلى أن النفط هو عنصر أساسي في تحديد مسيرة الاقتصاد. ودائما كنت أتوقع، وما زلت، أن سعر النفط المتوسط هو 100 دولار وهذا الكلام قلته عندما كان 30 دولارا وأنه سوف يصل إلى 100، وأكثر.

فالدولة المستفيدة من هذا الموضوع روسيا، ودول أخرى والدول النفطية في الوقت نفسه. أميركا كدولة نفطية مهمة، مصلحتها في رفع سعر النفط. في الحقيقة، ما نسمعه بأن سعر النفط عكس رغبة أميركا، وأنه محكوم بأسعار السوق، كلام ليس له أساس، إذ إن أميركا من مصلحتها رفع سعر النفط، وبخاصة أن معظم شركات نفط العالم أميركية.

● بمَ تنصح الدول العربية؟

– أنا لست ناصحا، إنما رأيي لم يتغير منذ طفولتي، لأن هذه الأمة خلقت لتكون أمة واحدة، الأمة العربية، وأن الخير أينما جاء فيها هو لها كلها. فأنا عندما أرى الازدهار في المملكة العربية السعودية وفي دول الخليج، فيسعدني ذلك وإن كنت أنا لست من تلك المنطقة، لأن خيرها سيعم الدول العربية كلها. عندما نتكلم عن دول مجلس التعاون لنفط سعره 100 دولار أو يزيد، فنحن نتكلم عن ضوابط حقيقية، ضوابط مخفية، وليس ضوابط اقتصادية. ودائما كنت أقول بأن كل النفط الموجود تحت الأرض في الخليج لا يكفي لبناء بنية تحتية في منطقة الخليج كتلك الموجودة في أوروبا، ورأس المال هذا ليس فائضا ولكن سيكون هناك سيولة هذه السيولة ستستثمر حكما في دول الجوار كدول العربية وأيضا ستنتقل وتتوسع كما نراها الآن، ونحن نرى كيف أن الدول العربية تستفيد من خيرات وازدهار دول المجلس التعاون وبطريقة متزايدة. وبحكم مهنتنا، نحن نعمل على كثير من المشاريع ونخدم الكثير من المشاريع التي هي رؤوس أموال خليجية مستثمرة في الدول العربية لم تكن كذلك في العقد السابق، وقبل التسعينات لم نكن نرى هذا الحجم من الاستثمار الخليجي في الدول العربية المشتركة. **وأقول إن خير مكان لاستثماراتنا في وطننا أو في دول الجوار.. أولا في البلد نفسه، ثم في دول الجوار. وقد أثبت التاريخ ذلك، وبخاصة في هذه الأزمة الأخيرة.**

● للمؤسسة نشاطات متعددة من بينها الأكاديمية، فكيف ينسجم هذا النشاط مع بقية النشاطات الأخرى؟

(«مجموعة طلال أبو غزالة» تضم 12 مؤسسة، من بينها أكاديمية للأعمال والترجمة والملكية الفكرية ومعهد لتعليم اللغة الصينية، بالإضافة إلى مؤسسة محاسبة تعتبر واحدة من كبرى المؤسسات في العالم في هذه المجال).

– منذ بداية هذه المؤسسة سنة 1972، ورسالة «مجموعة طلال أبو غزالة» لم تتغير، وهي تقوم على بناء القدرات العربية لخدمة الاقتصاد العربي، والتعليم جزء من بناء القدرات. وقد أقمنا الكثير من المؤسسات التي تعنى بالكفاءات المهنية، محاسب قانوني وخبير ملكية فكرية وخبراء وكتاب وخبراء تراخيص ونقل تكنولوجيا، وبدأنا أيضا في التدريب المستمر. وعندما يتخرج أي طالب أو يؤهل، فيجب أن يحافظ على استمرار تعليمه، ووجدنا أننا في حاجة إلى إقامة مؤسسات تعليمية، فبدأنا بكلية طلال أبو غزالة للأعمال، ولا نقوم بأي دراسة أي برامج تعليمية أخرى في مجال الكيمياء ولا في علم الاجتماع. كل نشاطاتنا تصب في كيفية خدمة الاقتصاد العربي. ونحن نخدم التطور، فعندما تتخرج الكفاءات في كلية طلال أبو غزالة للأعمال حيث القياسات على أعلى مستوى في العالم تخدم الاقتصاد، فكله يصب في كيفية بناء القدرات في خدمة الاقتصاد العربي. فعندما يقدم المشورة في الحكومات ووزارات التربية أو المؤسسات التعليمية، كيف تطور من هذه الخبرة، كيف تطور برامجها، نحن أيضا نخدم بناء القدرات، فرسالة هذه المجموعة منذ البداية لم تتغير.. بناء القدرات لخدمة الاقتصاد العربي.

والكل يعرف أن «مجموعة طلال أبو غزالة» أصبحت المجموعة الرائدة التي تحظى بثقة المجتمع الاقتصادي وصانعي القرار في العالم العربي، وهذا شرف كبير يحفزنا على مزيد من العطاء. وعلى الصعيد الدولي في كثير من المجالات، أصبحنا رقم واحد عالميا، مثل موضوع نشاط الملكية الفكرية ونحن أكبر شركة في الملكية الفكرية، وكذلك في مجال الترجمة من الإنجليزية إلى العربية، والعكس. وفي مجالات كثيرة لنا السيادة على مستوى المنطقة. وأود أن أقول إن الأمة العربية الآن في نهضة تاريخية، لكن أريد أن أميز هذه النهضة بأن القول «هذه فرصة تاريخية ولن تتكرر» ليس صحيحا.. الفرص مستمرة والنهضات مستمرة، والأمور تنتقل من مرحلة إلى مرحلة، وليس هنالك نقطة تحول في التاريخ، إنما هذه النقطة التي نحن فيها الآن بخلاف النقاط السابقة من تحولها، والنقاط القادمة فيها فرصة فريدة لهذه الأمة لتصبح ما تستحق. إن هذه الأمة أمة عظيمة.. **نحن الآن أمام فرصة تاريخية لنستعيد دورنا في قيادة العالم. كل القيادات التي خلفت قيادة العرب للعالم لم تقد العالم بحكمة،** وفي إسبانيا لا يتكلم عن الاحتلال العربي، وإنما مرحلة شراكة بين العرب وإسبانيا، لأن دورنا كان دورا حضاريا بروح العطاء والتعاون، ولم نقاتل من أجل التدمير والإرهاب. ولا أريد أن أقارن، لأنه لا تجوز المقارنة، فمثلا العدو الصهيوني يعتبر أن العلم محظور تحت الاحتلال، ونحن في مجمع المحاسبين عندما نريد أن نرسل كتبا للطلبة إلى فلسطين يمنعها الاحتلال، فنضطر إلى إرسالها عبر الإنترنت ونطبعها هناك ونوزعها سرا كأنها مخدرات.

ونقول إن ازدهار هذه المنطقة مطلوب، فنحن في مرحلة قريبة من المستقبل الذي أقول إنه إيجابي، لأن الغرب أصبح ينظر إلينا نظره جديدة، ونحن نتطلع إلى شراكه حقيقية معه.

التنين الأصفر والصعود نحو القمة:

أية مؤهلات وأية انعكاسات على مستقبل العالم الإسلامي ؟

د. الطيب الوزاني

لم تمر على سقوط المعسكر الشيوعي إلا حوالي عشرين سنة (20سنة) ، اعتقد فيها الجميع بتفرد الولايات المتحدة الأمريكية بزعامة العالم والتحكم في صنع أحداثه ولم يشك أحد أن الدولة التي تملك أكبر مؤهلات السيطرة العالمية هي الولايات المتحدة لوجود مؤشرات عديدة (مستوى الدخل الفردي ، والاستثمار والبحث العلمي والقوة النقدية للدولار والقوة النووية....).

غير أن موازين القوى الدولية بدأت تتغير ملامحها تدريجيا بعد تعافي الدب الروسي من أزماته الكبرى وبعد بروز مظاهر الصعود الصيني اقتصاديا وتكنولوجيا . وبدأ الخبراء ينظرون بواقعية إلى هذا التحدي الصيني الذي شرع يفرض وجوده في الآن وفي المستقبل القريب فما هي مقومات الصعود الصيني إلى مستوى التنافس على القمة؟ وما هي آثار التحول من القطبية الأحادية إلى التعددية وانعكاساتها على النظام الدولي عامة وعلى منطقتنا العربية والإسلامية ومشكلاتها؟

أولا–ما هي مقومات التحدي الصيني ومؤهلاته؟

يرصد الخبراء في النظام الدولي و الدراسات الاستراتيجية مراكز القوة لدى الصين في ما يلي :

– عدد السكان الذي يبلغ حوالي 1,3 مليار نسمة وهو وحده يشكل أكثر من عدد سكان أوروبا وإفريقيا معا ، كما يفوق عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية بحوالي أربعة أضعاف وهذه الثروة البشرية كافية لإكساب الصين أكبر سوق داخلي يحقق لها الاكتفاء الذاتي، فما بالك لو اتجهت نحو السوق الخارجية ونافست غيرها فيه؟

– النمو المتسارع لاقتصادات الصين:إذ لوحظ منذ أكثر من ثلاثين سنة تزايد نمو الاقتصاد الصيني بمعدلات متسارعة سواء في الناتج المحلي من1٪ إلى 5٪ أو في نصيب الصين من التجارة العالمية من 1٪ إلى 5 ٪ ومن التجارة الخارجية للصين بنحو 30٪ بعد انضمامها لمنظمة التجارة العالمية سنة 2001،

– توفر الصين على أكبر قوة في العالم تقرب من المليار يد عاملة محلية ، وامتلاكها لأكبر احتياطي عالمي من النقد الأجنبي (مارس2008) وتتبادل مع الولايات الأمريكية المركز الأول في جذب الاستثمارات الخارجية، كما أن استثماراتها الخارجية ارتفعت بأرقام عالية جدا (من 9.2 مليار دولار عام 2003 إلى 26 مليار دولار في بداية عام 2008).

– ومن جهة أخرى اعتبرت الصين أكبر مستهلك للطاقة في العالم ويتوقع أن تتفوق على الولايات المتحدة الأمريكية بعد 2010 كما اعتبرت أكبر مستورد للنفط العالمي ويتزايد الطلب الصيني على النفط إلى مقدار يفوق 13 مليون برميل يوميا مع حلول 2030 ويقدر أن يرتفع الطلب الصيني على وقود السيارات إلى أعلى نسبة عالمية في حدود 2030 أيضا مما ينذر بحدة المنافسة بينها وبين الدول الصناعية الكبرى

– وفي مجال تقنية الاتصالات بدأت تحتل الصين المركز الأول عالميا كأكبر سوق عالمية لأجهزة الحاسوب الشخصية وتزايدت وارداتها ما بين 20 و30٪ مما يرشحها لأن تكون أكبر سوق استهلاكية في العالم كما أن عدد مستعملي الانترنيت في الصين ارتفع إلى أكثر من 210 مليون وهو رقم يعادل أو يقرب مما تتوفر عليه الولايات المتحدة الأمريكية وهو مرشح للارتفاع بشكل أكبر مع الإقبال المتزايد على تقنية المعلوميات وازدياد الطلب عليها مما يتوقع معه أن تصبح الصين أكبر سوق عالمية في هذا المجال

– وبالموازاة مع هذه القوة الاقتصادية المتنامية تمتلك الصين من الناحية العسكرية أكبر جيش في العالم، يصل إلى ما يقرب من 3 ملايين جندي وتعتبر الصين دولة نووية(تقدر بحوالي 100 صاروخ نووي وتقنيات أخرى) وتطور قدراتها النووية باستمرار وتعمل بجهود حثيثة لتحديث جيشها وتزويده بأحدث معدات التكنولوجيا الحربية المعاصرة(أكثر من 100 قمر للتجسس وبرنامج فضائي طموح)

وبسبب هذه القوة الاقتصادية والعسكرية والاعتماد على الذات ورفض الانصياع للضغوطات الغربية استطاعت الصين أن تحمي نفسها من الأزمة المالية العالمية الحالية التي أثرت في الاقتصاد الغربي والأمريكي بالأساس بل أصبحت هي الدولة التي يتوقع منها إنقاذ السوق المالية الغربية

هذه الإمكانات وغيرها كثير(المساحة الجغرافية والموقع والموارد المعدنية والفلاحية والأسطول البحري ومؤسسات البحث العلمي...) هي التي تؤهل دولة كالصين لأن يكون لها دور مشهود في التأثير في السياسة الدولية المستقبلية فكيف ذلك؟

ثانيا– ما هي آثار صعود الصين في السياسة الدولية العالمية؟ وفي العالم الإسلامي؟

نظرا للاعتبارات السابقة أصبحت الصين - في الوقت الحاضر والمستقبل المنظور- تشكل القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية الصاعدة والتي يمكن أن تنهي عصر الهيمنة الأمريكية والقطبية الأحادية التي تفردت بها الولايات الأمريكية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وأصبحت الصين في حاجة ماسة إلى الانفتاح الخارجي إقليميا ودوليا لحاجة اقتصادها لذلك .الأمر الذي يزعج المنافسين الكبار كاليابان والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية خصوصا لأن ذلك يعني احتلال مواقع والاستثمار في مناطق عدة منذ زمن بعيد حكرا على هؤلاء اللاعبين الكبار ،ونظرا لهذه القوة والقدرة المتينة التي أصبحت عليها دولة الصين فقد بات الغرب كله يعيد ترتيب أوراقه مرة بتهديد الصين واتهامها في قضايا حقوق الإنسان وإخفاء الحقائق عن ميزانيتها الحقيقية في الإنفاق العسكري وإبداء مخاوف من مشروعها النووي ... ومرة بالتلويح بأن الصين ليس عدوا وإنما يمكن أن يكون شريكا اقتصاديا وسياسيا للغرب ، ومهما يكن فإن التأثير الصيني في إعادة رسم الخريطة الاقتصادية وتغيير موازين القوة السياسية واقتسامها مع اللاعبين الكبار في المستقبل القريب أصبح أمرا لا مفر منه ،فاكتساح الصين للأسواق الآسيوية (المحيط الإقليمي المباشر)والإفريقية (العمق الاستراتيجي) والغربية نفسها (الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة وخاصة بعد الأزمة المالية الحالية) ، والمنافسة الشرسة على موارد النفط لتأمين القوة الصناعية، هذا إذا أضفنا القوة النووية والعسكرية التي لا يمكن إغفال دورها في الردع وفرض الوجود في المنتظم الدولي للكبار والاعتراف بالمصالح وتأمينها وفرض احترامها، من شأنه أن يغير كثير من معالم النظام الدولي وخريطته وأحلافه وتكتلاته.. لكن ما موقع بلدان العالم الثالث عامة وبلدان العالم الإسلامي والعربي من هذه التحولات ؟ وكيف يمكن الاستفادة منها في الخروج من الهيمنة المهينة لأوربا والولايات المتحدة الأمريكية.

ثالثا– ما هي آثار صعود الصين في تنفيس مشاكل العالم الإسلامي؟

أولا يمكن القول إن منطقة العالم الإسلامي عاشت ما عاشته دول الشرق الآسيوي من استعمار مهين واستقلال مزيف ، وكانت محاولات التخلص من هذا الاستعمار والتبعية في المنطقة الإسلامية والشرق الآسيوية على حد سواء لكنها نجحت هنا ولم تنجح هنا ، وكم أسيل من مداد في القرن الماضي للإشادة بنجاح النهضة اليابانية والتباكي على فشل النهضة عند العرب والمسلمين مع أنهما انطلقا في نفس اللحظة التاريخية، وخلال هذا القرن بدأت تعلو أصوات في الانبهار بالتجربة الصينية وتجربة نمور آسيا وارتفاع سياط نقد الذات وجلدها مرة أخرى رغم أن منطقة العالم الإسلامي منطقة جيواستراتيجية وتمتلك من القدرات البشرية والطبيعية والثقافية ما يجعلها تنطلق بقوة.وإن كنت لا أقصد هنا الجواب والكشف عن مختلف الحيثيات التي حالت دون ذلك، إلا أنني كمسلم أحمل نفس التساؤلات والهموم.

ثانيا :لست ممن يقبل كليا بالقول إن التعددية القطبية وبروز الصين واليابان وروسيا ونمور آسيا ودول أمريكا اللاتينية ستؤدي بالعرب والمسلمين بالخروج من الهيمنة الغربية والأمريكية تلقائيا، فهذا لا يقول به إلا جاهل بالسنن الربانية وقوانين التدافع الحضاري التي تستلزم من الأمم والشعوب التخطيط والعمل وبذل الجهد بكل معانيه لاكتساب القوة ، ولن تتخلص هذه الشعوب من التبعية والهيمنة للغرب بمجرد نهوض غيرها وإلا ستقع مرة أخرى في التبعية للكونفوشيوسية وشيوعية الصين وهيمنة مصالحها السياسية والاقتصادية والثقافية... ولن تكون تلك الهيمنة أحسن من هذه وإنما الذل والتبعية واحد وإن تعددت صورها بين أبيض وأصفر، وما الغزو التتري والمغولي وتدميره لكثير من كنوز حضارتنا عنا ببعيد.

فضلا عن أن التقارب بين الغرب والصين وارد وواقع ضد مصالح العالم الإسلامي، فلا ينتظر من الصين مناصرة القضايا الإسلامية ومعاداة الغرب مبدئيا أما من حيث المناورة السياسية فيمكن أن يكون ذلك في الظاهر دون الباطن.

ثالثا– لن يكون للمسلمين موقع شهود إلا بانتهاج سبل اكتساب القوة الذاتية والاعتماد على المقومات الذاتية ثقافيا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا ورسم الخطط والاستراتيجات الكفيلة بتحقيق التنمية الشاملة والصحيحة، المؤدية للسيادة والريادة والاحترام الدولي المتبادل

رابعا الاستفادة من تعدد القطبية رهين بمدى القدرة على ممارسة القرار الذاتي والإرادة الحرة والمستقلة في تدبير موارد الأمة والتفاوض مع الشركاء الدوليين من موقع المسؤولية والأمانة والغيرة على ممتلكات الأمة ومصالحها من غير انصياع لإملاءات أو إغراءات أو تهديدات، فهل تمتلك الحكومات في كثير من بلدان العالم الإسلامي هذه الإرادة؟ وهل نتوفر على القدرة على التسيير الذاتي والتدبير الرشيد لمواردنا البشرية والطبيعية ؟ وهل نمتلك الجرأة في صنع مستقبلنا وتثبيت حقنا المشروع والعادل في وجودنا التاريخي ومشاركتنا في إفادة البشرية بما نمتلك من خيرية وهدى ورشاد نكاد نحمله أسفارا دون أن نصنع منه أخيارا أو نفيد به أحرارا؟

● ماذا تقول للقمم العربية؟

– دائما أقول إن ما يعرفه القادة لا نعرفه نحن، وبالتالي لديهم اعتبارات وحسابات، لكن نحن نجتهد ونضع اجتهاداتنا تحت تصرفهم، وهم يملكون المعلومات كلها، فيستطيعون اتخاذ القرار الأصح والأفضل. ولكن حقيقة الأمر أننا نرى اليوم عالما غربيا تنكمش سوقه، وسيحتاج إلى السيولة وإلى أسواق جديدة و شراكات جديدة.. **وأنا بذلك أقول إننا أمام مرحلة تاريخية جديدة من الشراكة والتعاون الاقتصادي الحقيقي مع الغرب، على أسس من المصلحة المتبادلة وليس على أسس من الاستنزاف، وكل قرض كان يعطى وكل دين كان يُدَان للدول العربية كان استنزافا، ولن يؤدي أغراضه، ولن يهدف إلى بناء القدرات وتطوير الاقتصاد.**

وأنا قارئ وتلميذ منذ 20 سنة وأنا أتابع صعود الصين، **ودائما أقول إن الثروة تسير من الغرب إلى الشرق، ومن الشمال إلى الجنوب، ويجب على العرب أن يعرفوا أن أوروبا وأميركا والغرب لم تعد أسواقا مشجعة، وبخاصة أن أميركا نفسها والغرب يحاولون دخول أسواق الصين، والاستفادة من ثروات الصين.** وقد قرأت تقارير لمراكز أبحاث أميركية في عام 1984 أين ستكون أميركا في عام 2025، وكان الكلام أن الصين ستكون القوة الاقتصادية الكبرى في العالم، وإذا حدث ذلك فستصبح الصين القوة الأهم سياسيا وعسكريا.

بدأ اهتمامي من 1984 بمتابعة السوق، وبدأنا ندرس كيف نكون كعرب لدينا علاقة مع الصين. والعلاقة مع الصين صعبة جدا، لأنهم ليسوا كالشركات الغربية في مشروع تعاقد معك. فهم يجب أن يعرفوك، ويجب أن يختبروك، وإذا وثقوا بك فتنفتح كل الأبواب. هذا ما حصل معنا منذ 20 سنة في علاقتنا بالصين، والآن أصبحنا شركاء، وأصبحت الصين تعرف المؤسسة التي اختبرتها وجربتها، وعملت جميع التحريات فلم تعد لدينا مشكلة بالتعامل مع الصين. والآن بدأنا برنامجا اسمه «العودة إلى طريق الحرير».. كيف نعيد الصين وكل هذه المنطقة إليه.

● ما الذي يطمح إليه طلال أبو غزالة؟

– أقول إن هذه المنطقة بداية من الخليج فيها خير مقبل بلا شك، وفيها ازدهار مقبل، وخيرها سيعم كل دول الجوار، وبخاصة أن الأرضية السابقة للاستثمار أصبحت مشكلة، وهذا الازدهار سيكتمل مع خط على حد الصين. **وأنا قدمت دراسة أقول بأنه سيتشكل فضاء أو تحالف صيني هندي عربي إقليمي، وستصبح هذه المنطقة هي السوق الأهم في العالم، وأمامنا عالم جديد يتيح فرصا لا حدود لها.**

● حاوره محمد الدعمة

نقلا عن الشرق الأوسط

إعداد : الدكتور عبد الرحيم الرحموني

موعظة غالية

قال العتبي : تنازع إبراهيم بن المهدي هو وبختيشوع الطبيب بين يدي أحمد بن أبي داود القاضي في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد، فزرى عليه ابن المهدي وأغلظ له بين يدي أحمد بن أبي داود. فأحفظه ذلك، فقال: ياإبراهيم، إذا نازعت أحداً في مجلس الحكم فلا أعلمن أنك رفعت عليه صوتاً، ولا أشرت إليه بيد؛ وليكن قصدك أمماً، وطريقك نهجاً، وريحك ساكنة. ووف مجالس الحكومة حقوقها من التوقير والتعظيم والتوجه إلى الواجب، فإن ذلك أشبه بك، وأشكل لمذهبك في محتدك وعظم خاطرك. ولا تعجل، فرب عجلة تهب ريثاً، والله يعصمك من الزلل، وخطل القول والعمل، ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل، إن ربك حكيم عليم.

فقال إبراهيم: أصلحك الله، أمرت بسداد، وحضضت على رشاد، ولست بعائد إلى ما يلثم مروءتي عندك، ويسقطني من عينك، ويخرجني عن مقدار الواجب إلى الاعتذار، فها أنذا معتذر إليك من هذه البادرة اعتذار مقر بذنبه، باخع بجرمه؛ فإن الغضب لا يزال يستفز بمودة فيردني مثلك بحلمه، وقد رهبت حقي من هذا العقار لبختيشوع، فليت ذلك يقوم بأرش الجناية، ولن يتلف مال أفاد موعظة. وبالله التوفيق

أنواع من الفتن

حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أشعث بن سليم، قال: سمعت رجاء بن حيوة يحدث، عن معاذ بن جبل]. قال: ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وستبتلون بفتنة السراء، وأخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسورن الذهب والفضة، ولبسن رياط الشام وعصب اليمن، فأتعبن الغني وكلفن الفقير ما لا يجد.

● حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني

ثلاث ممقوتة

حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا عبد القدوس بن بكر، عن محمد بن النضر الحارثي رفعه إلى معاذ بن حنبل، قال: ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت، الضحك من غير عجب، والنوم من غير سهر، والأكل من غير جوع.

●حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني

العلم والعمل

حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا محمد بن حيان، حدثنا محمد بن أبي بكر، حدثنا بشر بن عباد، حدثنا بكر بن خنيس، عن حمزة النصيي، عن يزيد بن يزيد بن جابر، عن أبيه، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: "تعملوا ما شئتم إن شئتم أن تعلموا، فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا".

● حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني

أقوال ومواقف زاهدة

قيل ليحيى بن معاذ: ما بال أبناء الدنيا يحبون الزاهدين وهم يفرون منهم؟ قال: ذلك كالدباغ يستروح إلى العطار، والعطار يفر من ريحه.

وقال ابن أبي الورد: إبليس يقول من ظن أنه نجا مني فبجهله وقع في حبائلي.

ومر داود الطائي برطب فقال لبائعه: انسئني بدرهم لغد. فأبى. فتبعه رجل وعرض عليه المال فوجده يقول: يا نفس تريدين الجنة وأنت لا تساوين درهماً. وأبى قبول المال. وقال: إنما أردت أن أعرف نفسي قدرها.

وقال بعضهم: ازهد في الدنيا ودع أهلها، وكن مثل النحلة، إن أكلت أكلت طيباً، وإن أطعمت أطعمت طيباً، وإن وقعت على عودة لم تنكسر.

وقالت امرأة العزيز: الحمد لله الذي جعل العبيد بطاعته ملوكاً والملوك بمعصيته عبيداً.

وقيل: المحسن في معاده كالغائب يرد إلى أهله مسروراً، والمسيء كالآبق يرد مأسوراً.

وقال الحسن: يا ابن آدم تحب الصالحين وتفر من أعمالهم وتبغض الفجار وأنت منهم؟

من خلق شاعر الدعوة الإسلامية عبد الله بن رواحة

أحمد في مسنده، حدثنا عبد الصمد حدثنا عمارة عن زياد النميري عن أنس، قال: كان ابن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول: تعال نؤمن ساعة. فقاله يوماً لرجل فغضب. فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة. فقال: "رحم الله بن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة".

حماد بن زيد، حدثنا ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، أن عبد الله بن رواحة أتى النبي ﷺ وهو يخطب، فسمعه وهو يقول اجلسوا فجلس مكانه خارج المسجد حتى فرغ من خطبته. فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: "زادك الله حرصاً على طواعية الله ورسوله".

قال أبو الدرداء: إنا كنا لنكون مع رسول الله ﷺ في السفر في اليوم الحار، ما في القوم أحد صائم، إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة.

معمر عن ثابت عن بن أبي ليلى، قال: تزوج رجل امرأة ابن رواحة فقال لها: تدرين لم تزوجتك؟ لتخبريني عن صنيع عبد الله في بيته. فذكرت له شيئاً لا أحفظه، غير أنها قالت كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين وإذا دخل صلى ركعتين لا يدع ذلك أبداً.

قال عروة لما نزلت "والشعراء يتبعهم الغاوون" قال ابن رواحة أنا منهم فأنزل الله "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات".

قيل لما جهز النبي ﷺ إلى مؤتة الأمراء الثلاثة، فقال: الأمير زيد فإن أصيب فجعفر فإن أصيب فابن رواحة. فلما قتلا، كره ابن رواحة الإقدام فقال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه طائعة أو لا لتكرهنه
فطالما قد كنت مطمئنه ما لي أراك تكرهين الجنة

● سير أعلام النبلاء للذهبي

رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

...هرم بن حيان العبدي

كان ثقة وله فضل وعبادة روى عنه الحسن البصري.

قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الأسدي، قال: حدثنا سفيان عن هشام عن الحسن عن هرم بن حيان أنه كان يقول: أعوذ بالله من زمان يمرد فيه صغيرهم، ويأمل فيه كبيرهم، وتقترب فيه آجالهم.

وقيل له أوصنا: فقال: أوصيكم بخواتيم سورة البقرة.

وقيل له أوص، قال: ما أدري ما أوصي، ولكن بيعوا درعي، فاقضوا عني ديني، فإن لم يتم فبيعوا فرسي، فاقضوا عني ديني، فإن لم يتم فبيعوا غلامي. وأوصيكم بخواتيم سورة النحل: أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة إلى آخر السورة إن الله مع الذين أتقوا والذين هم محسنون.

وعنه أنه قال: إياكم والعالم الفاسق. فبلغ عمر بن الخطاب فأشفق منها، فكتب إليه هرم بن حيان والله يا أمير المؤمنين ما أردت به إلا الخير، يكون إمام يتكلم بالعلم ويعمل بالفسق فيشبه على الناس، فيضلوا.

وأراد قومه استعماله، وظن أنهم سيأتونه، فأمر بنار فأوقدت بينه وبين من يأتيه من القوم. فجاء قومه، فسلموا عليه من بعيد، فقال مرحبا بقومي، ادنوا. فقالوا: والله ما نستطيع أن ندنو منك، لقد حالت النار بيننا وبينك. قال فأنتم تريدون أن تلقوني في نار أعظم منها في جهنم. قال: فرجعوا.

قال أخبرنا أحمد بن أبي إسحاق عن مخلد بن حسين قال: سمعت هشاما يذكر عن الحسن، قال: مات هرم بن حيان في غزاة له في يوم صائف، فلما فرغ من دفنه، جاءت سحابة فرشت القبر حتى تروى لا تجاوز القبر منها قطرة واحدة ثم عادت عودها على بدئها.

فائدة في علوم القرآن

قال بعض الأقدمين: أنزل القرآن على ثلاثين نحواً، كل نحو منه غير صاحبه، فمن عرف وجوهها ثم تكلم في الدين أصاب ووفق، ومن لم يعرف وتكلم في الدين كان الخطأ إليه أقرب. وهو: المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والتقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والسبب والإضمار، والخاص والعام، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحدود والأحكام، والخبر والاستفهام، والأبهة والحروف المصرفة، والإعذار والإنذار، والحجة والاحتجاج، والمواعظ والأمثال والقسم.

قال: فالمكي مثل: واهجرهم هجراً جميلاً. والمدني مثل: وقاتلوا في سبيل الله. والناسخ والمنسوخ واضح. والمحكم مثل: ومن يقتل مؤمناً متعمداً.. الآية. ومثل: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ونحوه مما أحكمه الله وبينه. والمتشابه مثل: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا.. الآية، ولم يقل ومن فعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً، كما قال في المحكم، وقد ناداهم في هذه الآية بالإيمان ونهاهم عن المعصية ولم يجعل فيها وعيداً، فاشتبه على أهلها ما يفعل الله بهم. والتقديم والتأخير مثل: كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية.. التقدير: كتب عليكم الوصية إذا حضر أحدكم الموت. والمقطوع والموصول مثل: لا أقسم بيوم القيامة. ولا مقطوع من أقسم، وإنما هو في المعنى: أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة، ولم يقسم. والسبب والإضمار مثل: واسأل القرية: أي أهل القرية. والخاص والعام مثل: يا أيها النبي، فهذا في المسموع خاص. إذا طلقتم النساء، فصار في المعنى عاماً. والأمر وما بعده إلى الاستفهام أمثلتها واضحة. والأبهة مثل إنا أرسلنا، نحن قسمنا، عبّر بالصيغة الموضوعة للجماعة للواحد تعالى تفخيماً وتعظيماً وأبهة. والحروف المصرفة: كالفتنة تطلق على الشرك نحو: حتى لا تكون فتنة. وعلى المعذرة نحو: ثم لم تكن فتنهم أي معذرتهم. وعلى الاختبار نحو: قد فتنا قومك من بعدك. والإعذار نحو: فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم اعتذر إنه لم يفعل ذلك إلا بمعصيتهم، والبواقي أمثلتها واضحة.

● الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

مجرد رأي

الأيام الدولية واللغة الخشبية....

ذ. عبد القادر لوكيلي

...كلما حل يوم من الأيام التي جعلوها عالمية وفرضوا علينا الاحتفال بها، كلما أعادوا على مسامعنا نفس الأسطوانات المشروخة ونفس اللغة الخشبية لدرجة الغثيان والقرف.... حتى لا نقول أكثر.

- في اليوم العالمي لمكافحة السيدا - مثلا- يحذرون الشباب من مغبة عدم استعمال العازل الطبي وضرورة الاكتفاء بشريك واحد.....

- في اليوم العالمي للمرأة، يذكرونك بتوصيات بيكين حول الجاندر (النوع) ويتلون على مسامعك توصيات كوبنهاغن والقاهرة وعواصم أخرى قد لا تعرف موقعها على الخريطة. نفس الشيء يعاد عليك كلما حلت الذكرى من أجل إنعاش الذاكرة وحتى لا تنسى أوتتناسى.

- في اليوم العالمي للبيئة يذكرونك بأسطول من التوصيات والمعاهدات حول ضرورة المحافظة على البيئة بدءاً من معاهدات بلغراد واليونسكو وPNUE مرورا بمعاهدات كيوتو، للحد من الغازات المسببة للانحباس الحراري، والتي ترفض كل من أمريكا والكيان الصهيوني التوقيع عليها لحد الساعة رغم أنها تعتبران الأكثر تلويثا في العالم. إضافة إلى ما سبق، فجل هذه المعاهدات إنما تطبق على الدول المستضعفة ويرفع القلم فيها على الدول الغنية، بل أكثر من هذا تقوم هذه الدول المستكبرة فتتخلص من نفاياتها السامة عن طريق دفنها في أراضي وصحاري الدول المستضعفة، تارة مقابل رشاوى سخية تعطى لبعض المتنفذين والمفسدين في هذه الدول، وتارة عن طريق ضغوطات وتنازلات سياسية لا يعلمها إلا الله والعارفون بخبايا الأمور.

فأمريكا التي لا تزال ترفض التوقيع على معاهدات كيوتو تستهلك مالا تستهلكه أية دولة في العالم من البترول، حتى أن الرئيس بوش كان يقول بأن بلاده مدمنة على البترول (AMRICA IS ADDICTED TO PETROL) وهومحق في ذالك، نظرا لطول المسافات بين المدن ولكبر حجم السيارات وكافة وسائل النقل عندهم. فما تقطعه سياراتهم الفخمة من مسافات يعادل المسافة بين الأرض والقمر ذهابا وإيابا لعدة مرات، وهذا يعني أن ما تنتجه أمريكا من غازات سامة يفوق بكثير ما تنتجه العديد من الدول مجتمعة. هذا إضافة إلى ما تسببت فيه أمريكا من تلويث للأرض بداية بهيروشيما وناكازاكي والفيتنام وليس انتهاء بأفغانستان والعراق، حيث ذهبت لنزع أسلحة الدمار الشامل فإذا بها تتسبب في دمار شامل أهلك البلاد والعباد وأيبس الزرع والدرع. بل حتى الثمور التي كانت - إلى وقت قريب- مفخرة العراق، أصبحت مشبعة هي الأخرى بالإشعاعات النووية الناجمة عن الاستخدام المفرط للأسلحة المحظورة دوليا وفق معاهدات جنيف الرابعة.

أما الكيان الصهوني فحدث ولا حرج عن إفسادها وتلويثها للبيئة، فنهر الأردن جل مياهه ملوثة نتيجة ما يلقيه المستوطنون فيه من نفايات صلبة وغير صلبة. والمياه الجوفية في الأراضي المحتلة هي الأخرى لم تسلم من التلوث بسبب ما يُلقيه هذا الكيان الدخيل من أسلحة محظورة كالتي استخدمت في مذبحة غزة الأخيرة كالفسفور الأبيض واليورانيوم المخصب والغير المخصب وما خفي كان أعظم وأبشع.

هكذا إذن يراد لنا أن نحتفل بهذه الأيام ونخلدها وفق منظورهم وفلسفاتهم وقناعاتهم واعتمادا على مرجعياتهم هم فقط ولا غير. وينبري مثقفونا بكل جد وتفاني لترديد ما يقولون دون زيادة أونقصان كأي تلميذ مجتهد حفظ دروسه جيدا أوكأي ممثل مسرحي التزم بالنص ويستطيع الخروج عليه. ولذلك لا تكاد تسمع من يتحدث عن هذه الأيام من منظور إسلامي أوحضاري منبثق من ثقافتنا وأصالتنا وخصوصياتنا حتى ليخيل إليك أن هذه الأمة لا أصل لها ولا فصل وليس لها ما تقوله في مثل هذه المواضيع، لذلك فهي في مقام المستمع والتابع فقط ولا يحق لها أن تبدي رأيا.

مع أن ديننا الحنيف الذي ارتضاه الله لنا وشرفنا بالانتساب إليه وحملنا مسؤولية الدعوة إليه حتى نخرج الناس كافة من الظلمات إلى النور، إنما جاء لإصلاح أمور العباد وحل مشاكلهم ومساعدتهم على إعمار الأرض وإصلاحها وفق المنهاج الرباني القويم، فهوسبحانه وتعالى خالق الكون كله وما فيه من بشر وطبيعة وإنس وجان وهوأعلم بما يصلح وما لا يصلح لمن خلقه بيديه وصوره فأحسن صورته ﴿أفلا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ فكيف يستعاض عن كل هذا باجتهادات بشرية قاصرة وتنظيرات أفرغها واضعوها من محتواها بعدم احترامها والالتزام بها؟؟؟

إن الحفاظ على البيئة في عقيدتنا وقيمنا ليس مجرد يوم أو أسبوع يحتفل به، بل هووظيفة أساسية وجزء أساسي من الإيمان والذي يقوم على أساس القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض وفق ما يرتضيه خالق هذا الكون سبحانه وتعالى. ومن ضروريات هذا الاستخلاف، إصلاح الأرض وتعميرها ولا تتم هاتان العمليتان إلا بالمحافظة على البيئة نقية طاهرة كما خلقها الله وعدم تدميرها أوتلويثها بكل ما من شأنه أن يفسدها. فقد سخرها الله لنا حتى نستفيد من خيراتها ونتفيأ بظلالها ونستمتع بجمالها وبهائها ونتعبد الله بتأمل عجائبها وغرائبها، ونتأمل في صنع الله فيها. فالتأمل في ملكوت الله عز وجل من أرقى العبادات وأحبها إلى الله. ولذالك يتكرر الأمر بالنظر والتأمل في آيات الله المنظورة كثيرا وكلها ذات ارتباط مباشر بالطبيعة أوالبيئة ﴿أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الارض كيف سطحت﴾ ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب...﴾ ﴿فانظر إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾.

أما الأحاديث الواردة في ضرورة الاعتناء بالبيئة فأكثر من أن تحصى، منها قوله ﷺ : «ما من مسلم يغرس غرسا أويزرع زرعا فيأكل منه طير أوإنسان أوبهيمة إلا كان له به صدقة» وقوله : «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار» كما نهى ﷺ عن التبول في الماء الراكد وعن التبرز في (الموارد وقارعة الطريق والظل) كما جعل إماطة الأذى من الطريق صدقة. وهذا أبوبكر الصديق رضي الله عنه وهو خليفة لرسول الله ﷺ يمشي خلف أسامة بن زيد رضي الله عنه، قائد الجيش المتوجه لفتح الشام فيوصيه بعشر وصايا من بينها (...ولا تحرقوا نخلا ولا تقعروه ولا تقطعوا شجرا ولا تقتلوا شاة ولا بقرة إلا لمأكلة...) هذا في وقت الحرب فما بالك في أوقات السلام... فأي دين وأي قانون أوتوصيات اهتمت بالبيئة واعتنت بها كل هذا الاعتناء؟؟؟ ﴿إنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾. ربنا لا تعمي قلوبنا ولا أبصارنا وزدنا نورا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الاستخلاف مفهومه... (تتمة)

المحير الذي طرحته آنفا، وهو يعلم أنه سيحيرنا، وهو يعلم أن دولا مشركة وكافرة ستظهر في الأرض وستتقلب فيها فقال جل من قائل : ﴿لاتحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبيس المصير﴾.

التمكُّن لا يتحقق إلا بالعبادة الجماعية

قد يوجد أناس يعبدون الله لا يشركون به شيئا، ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة، أي أنهم -في الظاهر-يحققون جميع شروط الاستخلاف ثم لا يكون التمكين. فهل هذا مناقض لوعد الله سبحانه؟ طبعا لا. فالله لا يخلف وعده غير أن العبادة عبادتان :

- **عبادة فردية** : تحقق للفرد السعادة في الدارين ولكنها لا تكون سببا ومقدمة كافية للاستخلاف في الأرض. وهذا محط أنظار جل المسلمين في الشرق والغرب.

- **وعبادة جماعية** : وهي التي تحقق السعادة للامة في الدنيا بالتمكين لها، وفي الأخرى برضى الله عنها، وهي طبعا مكملة للعبادة الفردية لا منفصلة عنها. وللأسف جل المسلمين اليوم يغفلون هذا النوع من العبادة وهي ذاتها سبب الجهاد، والضرب في الأرض، والتخطيط والوحدة. والاكثر اسفا أن العديد من الناس الذين يتعاملون مع القرآن الكريم ومع سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام تعاملا مجزءا، لا يفرقون بين عبادة وعبادة، بل إنهم أحيانا يلغون العبادة الجماعية ويركزون على العبادة الفردية فقط وهذا سبب من أسباب الخذلان حتى وإن لم يشعروا، ويقينا لم يكن المصطفى عليه الصلاة والسلام كذلك ولا الصحابة الكرام ولا العلماء الراسخين في العلم عبر العصور.

ولا يتحقق الاستخلاف إلا بالتمكن التام من الاقتصاد، ملكا، وإنتاجا، وتصنيعا، وتوزيعا عادلا، وتنمية علمية شاملة، يشارك فيها كل أفراد الأمة وفق تخطيط محكم هادف، فالقوة العلمية والمالية إحدى مرتكزات الاستخلاف. وهذا ما يمكن أن يُسَمّى استخلافا اقتصاديا.

أما المرتكز الثاني للاستخلاف، فهو الاستخلاف السياسي، أي إسناد السيادة والسلطة المطلقة لله وحده، فلا تصَرُّف في أي شيء إلا وفْق ما شرعه الله تعالى.

وهل يمكن للمسلمين أن يُسْتَخْلَفُوا اقتصاديا وسياسيا بدون عبادة جماعية؟! ذلك هو السؤال!! وذلك هو ميدان العمل الدعوي الذي يجب أن يجتهد في تحقيقه على كل صعيد، وبحكمة وعُمق فهم وكمال تجرُّدٍ وإخلاص.

بِنَبْضِ القلب

تهنئة في يوم النكبة

تحل الذكرى الثانية والستون لاغتصاب الأرض المقدسة "فلسطين" من قبل عصابات الصهاينة، الذين عاثوا في الأرض فسادا ودمارا وقتلا للإنسان وللتاريخ أمام مرأى من العالم (المتحضر)، بل وبمباركة منه. نتذكر فيما نتذكر عملية التهجير القسري التي طالت أصحاب الأرض، والمذابح التي يندى لها جبين الحجر قبل أن يندى لها جبين الإنسان، ثم نستحضر اللحظة الآنية حيث اليمين الإسرائيلي المتطرف يعيد نفس السيناريو بطرد الفلسطينيين من الضفة الغربية ومن باقي أرضنا المقدسة ليزج بهم في غزة المحاصرة التي أبت أن تستسلم، رغبة منه في إبادتهم عبر النار والجوع والحصار المفروض من قبله ومن قبل الجارة الشقيقة مصر. في هذه الآونة بالذات وقد بلغت القلوب الحناجر يطلع علينا الرئيس المصري ببرقية تهنئة موجهة إلى سفاح "قانا" شيمون بيريس رئيس الكيان الغاصب يعبر له فيها عن غبطته بحلول الذكرى الثانية والستون لقيام دولة إسرائيل... فأي تخاذل هذا وأي انبطاح هذا؟!! إن رئيس "أم الدنيا" يعلم قبل غيره أن إسرائيل اغتصبت الأرض وقتلت أهلها وأحرقت أراضيهم، وفي قاموسنا العربي والإسلامي نسمي يوم الاغتصاب بيوم النكبة، فكيف يُحَوِّل هذه الذكرى الأليمة الدامية إلى يوم استقلال لإسرائيل. إنها قمة المهازل وقمة المآسي، ووصمة عار في جبين كل المصريين وكل العرب وكل المسلمين.. فأين الصحف المناضلة التي لا تترك مناسبة إلا وكالت التهم والقذف لحركة حماس التي ترفض التوقيع على الورقة المصرية للمصالحة بينها وبين فتح، والتي من ضمن بنودها الاعتراف والخنوع للجزار الصهيوني واحتلاله لأرض فلسطين وتأمين حدوده، في حين أن كل الحكومات الصهيونية المتعاقبة، سواء كانت من اليمين أو من اليسار لا تؤمن بما جاء لا في الورقة المصرية، ولا في المبادرة العربية المنبثقة عن قمة بيروت، ولا بشروط الرباعية، إنما تؤمن بشيء واحد، هو إسرائيل الكبرى من البحر إلى النهر، وكل حزب إسرائيلي لا يمكنه المرور إلى ساحة الفعل السياسي إلا حينما يؤكد في قوانينه هذا الحق الصهيوني المتمثل في احتلال الأرض العربية وطرد أصحابها. أما المواثيق الدولية فليغنم بها عرب التطبيع ومعسكر الخذلان.

ذ. أحمد الأشهب

16 جمادى الثانية 1431هـ - 01 ماي 2010 م- العدد: 339

لماذا تصفية الوثنية؟

أ. د. عماد الدين خليل

يقرأ الإنسان الآيات الأولى من سورة براءة تلك التي تقول ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين، وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الاكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله..﴾ فيتساءل عن الأسباب التي تكمن وراء هذا الإعلان الذي يجيء بمثابة إلغاء نهائي للوثنية.. هذا بينما أتاح الإسلام حرية الاعتقاد لكافة الأديان الأخرى ولم يتخذ إزاءها الموقف نفسه؟

والواقع أن إعلان (براءة) بوقف الوثنية نهائياً، وإلغائها من الخارطة، أمر لا يمكن إدراك أبعاده إلا إذا نظرنا إلى المسألة من جانبيها الحضاري والاستراتيجي، كضرورتين يرتبط بعضهما ببعض وتسوقان إلى اتخاذ إجراء حاسم كهذا.

فأما أولاهما فهي أن الوثنية، على خلاف سائر الأديان الأخرى، تمثل الدرك الأسفل في موقف الإنسان الديني من الكون، موقف يشدّه إلى الحجارة، ويصدّه عن التقدم إلى الأمام، ويحجب عن بصيرته الرؤية الشاملة لدور الإنسان في الأرض وعلاقته بالقوى الأخرى في الوجود. ولو بقي العربي على وثنيته لظل بحكم موقفه المحدود هذا، أسير جهله وتأخره، وسجين عالم تضيق آفاقه لكي ما تلبث أن تعزله عن العالم وتحصره في قلب الصحراء..

لقد كانت الوثنية العربية نوعاً سيئاً من الأمية، وكان إلغاؤها بمثابة حملة شاملة لمحو الأمية.. ولن يعترض أحد على إجراء كهذا بحال من الأحوال..

وأما ثانية الضرورتين فتقوم على أن الدولة العقيدية التي أنشئت في قلب المنطقة العربية وامتد نفوذها السياسي إلى كافة أرجاء الجزيرة، وبدأت تحشد قواها وطاقاتها الجهادية للانتقال صوب الخطوة التالية في التحرك إلى العالم المحيط كله، هذه الدولة كان عليها أن تعتمد استراتيجية صارمة واضحة المعالم، من أجل أن تحمي وجودها في شبه الجزيرة من جيوب الوثنية العربية، ومراكز القوى الجاهلية، وأن تحيط مركز انطلاقها إلى العالم بسياج من الوحدة العقيدية والسياسية على السواء لئلا تضرب من الخلف وهي تمارس صراعها مع القوى الخارجية، حاشدة له جل طاقاتها..

وعلى ضوء هذا الارتباط بين الضرورتين الحضارية والاستراتيجية يمكن أن نتفهم موقف الإسلام إزاء عدد من الأديان. فمهادنته اليهودية والنصرانية في شبه الجزيرة نفسها كان ينبثق عن أن الديانتين كتابيتان متقدمتان فكريا على سائر الديانات الأخرى السابقة والمعاصرة للإسلام. فضلاً عن كونهما لا تمثلان -من الناحية الكمية- خطرا استراتيجياً على الدولة الإسلامية في شبه الجزيرة. إلا أن اليهود عندما نشطوا، قبل غزوة خيبر الحاسمة وبعدها، لضرب الدولة الإسلامية، وإجراء اتصالات عديدة مع القوى الداخلية والخارجية المتربصة، صدر أمر بعدم السماح لهم بالبقاء في الجزيرة، في أقسامها الشمالية على الأقل، وقد تمثل هذا الأمر بحديث الرسول ﷺ (لا يجتمع دينان في الجزيرة) كما تمثل بخطوات عمر بن الخطاب رضي الله عنه العملية لإجلاء معظم اليهود عن المنطقة.

وموقف الإسلام كذلك من المجوسية والبوذية، وعدم سعيه لتصفيتهما -رغم تأخرهما الحضاري- يعود إلى أنهما لا يشكلان خطراً استراتيجيا مباشرا على قاعدة انطلاقه إلى العالم، شأن الوثنية في شبه الجزيرة العربية.

وبمجرد نزول آيات براءة، أسرع الرسول ﷺ نظراً لخطورة الأمر بإرسال علي رضي الله عنه يحمل الآيات والتعليمات المرفقة بها وينطلق إلى مكة، حيث كان أبو بكر رضي الله عنه يقود الحجاج ذلك العام، لكي يتلوها على جموع الناس هناك وفيهم الكثيرون من الذين لا يزالون على شركهم وجاهليتهم.. وبينما تولى أبو بكر رضي الله عنه إمارة الحج راح علي رضي الله عنه يتلو على الناس آيات براءة وتعليمات الرسول ﷺ «لا يقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا، ولا يطوفن بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فله عهده إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فمدته أربعة أشهر.. وإن الله لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً»..

وسرعان ما آتى هذا الإعلان ثماره، حيث حج الرسول ﷺ في العام التالي، العام العاشر للهجرة حجته الأخيرة، وفق التقاليد الإسلامية التي لا تشوبها شائبة من وثنية أو جاهلية، وحج معه يومها حوالي مائة ألف من حجاج العرب لم يكن من بينهم مشرك واحد. وقد كان ﷺ قد مارس تنفيذ الإعلان في الأشهر التالية بأسلوب سياسي محنك وتجنب الاصطدام بالقبائل كي لا يثير عصبيتها ويسوقها إلى ردود الفعل، ولذلك كان يكتفي لدى مقابلة وفودها فيما سمي بعام الوفود بإعلان إسلامهم وانضمامهم إلى الدولة الجديدة، وكان يرسل معهم لدى عودتهم من يعلمهم مبادىء الدين الجديد في ديارهم..

لقد كان إعلان براءة نصراً حضارياً واستراتيجياً لدولة الإسلام وهي تتهيأ للخطوة التالية في تحضير العالم وجهاد قياداته الكافرة جميعاً من أجل منح حرية الاعتقاد للإنسان حيثما كان..

بارقة

الدعوة إلى الله تناقضها الدعوة إلى التحزب

أ.د. عبد السلام الهراس

الدعوة إلى الله أساسها أن تكون خالصة له، لا يتجلى معها إبراز فلان أو علان أو جماعة كذا أو تيار كذا، وألا يكون في التآخي بين المسلم والمسلم شرط زائد على الأخوة في الله كأتباع جماعة كذا أو جمعية كذا أو الشيخ فلان أو الشيخ علان ولقد جرّت هذه الشروط على المسلمين ويلات وعرقلت كثيرا من الجهود التي كان يجب أن تبذل في ميدان الدعوة إلى التآخي بين المسلمين وإلى إيقاظ الغافلين وتنبيه الحائدين وإرشاد الضالين والعمل على إنابة الخاطئين وتوبة العاصين وإسلام الكافرين والملحدين... لقد ضيع "بعض" الدعاة جهودهم وأوقاتهم وأموالهم في مكافحة إخوانهم في الله بالأمس لخلاف شق صفوفهم ووحدتهم لأسباب كان أكثرها يتعلق بالزعامة والرئاسة، وقد شاهدت بعض ذلك في الشرق بمصر وسوريا ولبنان ثم في السودان والجزائر، وقد أخبرني أخي الدكتور عبد الصبور شاهين عام 1956 وهو طالب بمعهد التربية أن العالم الاقتصادي والخبير المالي العالمي الدكتور محمود أبو السعود قال له وَهُمْ في السجن : " الحمد لله الذي لم يمتحنّا بالحكم ونحن على هذه الحالة".

إن تحويل الدعوة إلى الله إلى التحزبات والملل والنحل ليس هو الطريق إلى رضى الله الذي لا يتحقق إلا في ظل الأخوة فيه وله وإليه، فالمؤمنون في القرآن ليسوا إلا إخوة: ﴿إنما المومنون إخوة﴾ وأشداء على الكفار رحماء بينهم، وبعضهم أولياء بعض، وفي الأحاديث النبوية الشريفة كالجسد الواحد وكالبنيان يشد بعضه بعضا.

ولقد شاهدت في المشرق والمغرب عواقب هذه الآفة: آفة الأخوة في الله المشوبة بالحزبية الضيقة والعصبية المقيتة، ومن أبشع ما فيها شيوع سوء الظن بين الطرفين والأطراف والتحذير من التعاون بين أفراد الطرفين أو الأطراف بل حتى من التزاور أو المصاهرة أو حضور التجمعات أو المحاضرات أو الدروس أو خطب الجمع، بل تعدى ذلك إلى ما هو أشد وأبشع كما شاهدنا في أوربا وكندا بل الدفع ببعض الأطرف إلى اختلاق التهم وإشاعة البهتان بالكفر والباطنية للجماعات الأخرى وقد وصل بهم العدوان إلى الضرب والهجوم على البيوت. وقد أكرم الله جماعة انشقت في المشرق فرقتين بعدما كانت جماعة واحدة متراصة متعاونة فسرى الانشقاق إلى خارج المشرق العربي- أكرمها الله بخُمود آثار تلك الفرقة بزواج ابن هذا بابنة ذاك، وكان اللقاء في هذا الزفاف المبارك بين الإخوة المتنافرين بإحدى البلدان الأوربية فأصلح الله على يد العروسين الشابين ما أفسده الشيوخ والكهول، وقد حكى لي أحد الأعلام الحاضرين رحمه الله طرفا من صور هذا التصالح والتلاقي بعد سنوات من التخاصم والتصارع والتواقي (أي كل طرف يقي نفسه من صاحبه وأرجو أن تكون عربية سليمة فإن لم تكن فقد أعجبني استعمالُها) وقد شاع في ساحات الدعوة الإسلامية: الأخ فلان منا أو بْتُوعنا في الشرق أو دْيانّا أو نْتَاعْنا في المغرب العربي. وهذا يكفي أن تكون هذه الدعوة نوعا من الجاهلية الممقوتة، ومن أهم أسباب ظهور هذه العاهات في ساحة الدعوة الإسلامية ضعف العلم الشرعي في القيادات التي تتحول إلى زعامات سياسية، وغلبة الأهواء والتعصب للأسماء والأشخاص على حساب الحق وتعاليم الدين الحق، والعجب أن جهود إصلاح ذات البين أخفقت لإعجاب الزعماء الظاهرين على إخوانهم الأقلية.

ورحم الله أبا عمر الداعوق رائد جماعة عباد الرحمان، فقد كان يحذر إخوانه من التعصب لجماعة عباد الرحمان، بل عليهم أن يتعصبوا للرحمان الذي هو إلهنا ومعبودنا فهو الأجدر بالعبادة والانتماء والتقرب إليه بالأعمال الصالحة وكان يستميل في لبنان كل داعية وكل عالم ويكرمهم بل كان ينفق على بعض اللاجئين منهم ولكن بعض هؤلاء شق جماعته مع الأسف فكان ذلك سببا في هجرته للبنان واستقراره بالشارقة إذ رأى مشروعه العظيم الذي كان يريد تحقيقه بدأ في التداعي وهو يكره الصراع والخصام بين المسلمين وقد حكى لي طرفا من ذلك في موسم الحج سنة 1394 آخر سنة 1974م رحم الله الجميع وغفر لنا ولهم.